جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

العلاقات السعودية الروسية :(المحددات - والمتغيرات الإستراتيجية) للفترة (1991-2009)

إعداد الطالب
سلطان عبد المحسن سلطان الهيضل

إشراف
الأستاذ الدكتور مخلد المبيضين

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في العلاقات الدولية قسم العلوم السياسيـــــة

جامعة مؤتة، 2010

الإهداء

إلى من دعت رب السماء في الظلام ليضيء لي دربي على الأرض والدتي.

إلى نبراسي ومعلمي الأول وقدوتي في الحياة ومثالي الأعلى والدي.

إلى أخواتي وإخواني وجميع الأهل والأصدقاء.

أهدي إليكم ثمرة غراسكم لتباركوها حتى تكون نعم الـزرع الـذي زرعـتم وأطيب الثمار التي جنيتم .

سلطان عبد المحسن سلطان الهيضل

الشكر والتقدير

فالحمد والشكر أرى لزاماً علي أن أتقدم بالشكر والتقـدير إلـى أسـتاذي الفاضل الأستاذ الدكتور مخلد المبيضين عرفاناً لما قدمه لي من عون ومساعدة فـي إنجاز هذه الرسالة.

سلطان عبد المحسن سلطان الهيضل

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	أ
شكر وتقدير	ب
فهرس المحتويات	ج
قائمة الأشكال	هـ
الملخص باللغة العربية	و
الملخص باللغة الانجليزية	ز
الفصل الأول: منهجية الدراسة	
1-1 مقدمة	1
1-2 أهداف الدراسة	3
1-3 أهمية الدراسة	4
1-4 الأهمية العلمية	4
1-5 الأهمية العملية	4
1-6 مشكلة الدراسة	5
1-7 منهج الدراسة	5
1-8 أسئلة الدراسة	5
الفصل الثاني :الإطار النظري والدراسات السابقة	
2-1 الإطار النظري (نظرية النظم في العلاقات الدولية)	7
2-2 الدراسات السابقة	21
الفصل الثالث: التطور التاريخي للعلاقات السعودية الروسية	28
3-1 مرحلة الوفاق والتعاون(1926-1938م)	26
3-2 مرحلة الفتور والقطيعة(1939-1991م)	28
3-3 مرحلة التعاون والتقارب (1991-2009م)	35
الفصل الرابع:محددات السياسة الخارجية السعودية تجاه الاتحاد الروسي	
4-1 محددات السياسة الخارجية السعودية تجاه الاتحاد الروسي	43
4-1-1 النفط	43
4-1-2 الإرهاب	45
4-1-3 العام الديني والإيديولوجي كمحدد للسياسية الخارجية السعودية تجاه روسيا	46

4-2العلاقات السعودية الأمريكية كمحدد للعلاقات السعودية الروسية 62
4-3 محددات السياسة الخارجية الروسية تجاه المملكة العربية السعودية 67
4-4 العوامل والمتغيرات التي أدت إلى التقارب السعودي-الروسي 70
الفصل الخامس: استراتيجيات التعاون بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي
5-1 الإستراتيجية الروسية تجاه المملكة العربية السعودية 79
5-2 الإستراتيجية السعودية في علاقاتها مع الاتحاد الروسي 81
5-3 التعاون في قضايا السياسية الإقليمية والعالمية 85
5-4 التعاون الاقتصادي بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي 93
5-5 التعاون السعودي الروسي في المجال الديني 100
الخاتمة 104
النتائج 107
التوصيات 111
المراجع 113

قائمة الأشكال

الرقم	عنوانه	الصفحة
1	النظام الدولي	8

الملخص

العلاقات السعودية الروسية (المحددات - والمتغيرات الإستراتيجية)

للفترة (1991-2009)

سلطان عبد المحسن سلطان الهيضل

جامعة مؤتة، 2010

تكتسب العلاقات السعودية الروسية أهمية كبيرة في السياسة الدولية نظـراً لإبعاد هذه العلاقات على المستوى الدولي والإقليمي، لما تمثله الدولتين مـن ثقـل سياسي في السياسة الدولية وخصوصاً في الفترة الحالية،

وقد هدفت هذه الدراسة إلى البحث في العلاقات السعودية خلال الفترة الممتدة من عام **1991** وحتى عام 2009 وذلك للتعرف على المراحل التي مرت بها تلـك العلاقات، ولفهم العوامل والمحددات التي أثرت على تطـور العلاقـات الـسعودية الروسية .ومجالات التعاون السياسي والاقتصادي بين السعودية وروسيا.

وقد حاولت الدراسة البحث في إشكالية العلاقات الـسعودية الروسـية خـلال الفترة 1991-**2009** وتطور تلك العلاقات في ضوء المتغيرات الدولية والإقليميـة والمحلية، لما تكتسبه هذه العلاقات من أهمية جيواستراتيجية كبيرة لكـلا الـدولتين وانعكاس هذه العلاقات على المستوى الإقليمي والدولي.

توصلت الدراسة إلى وجود تأثير لمجموعة من المتغيرات الإقليمية والدوليـة على التقارب بين البلدين في هذه الفترة وخصوصاً أحداث 11 سبتمبر (أيلول) عـام **2001** في الولايات المتحدة والغزو الأمريكي للعراق في مارس (آذار) عام **2003**, وتوصي الدراسة بضرورة زيادة حجم التبادل التجاري وتنويعه بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي وإنشاء شراكة إستراتيجية تساعد على استغلال مـوارد الطاقة التي تمتلكها الدولتان.

Abstract

Saudi Russian Relations: (Determinants- Strategic Variables) for the Period of (1991-2009).

By

Sultan Abdel Muhsen Sultan AL Haidhal

Mu'ta University 2010

Saudi Russian relationship has earned a special significance in the international politics due to the political importance of both countries in the world politics, and because of the dimensions of this relation at the regional and international level, especially in the current period.

This study aims to explore Saudi Russian relationship during the period from 1991- 2009, to identify the stages of these relations and to understand the factors and determinants that affect the evolution of Saudi Russian relations, finally to examine the political and economic cooperation between Saudi Arabia and Russia.

The study's problem is represented in searching the nature of Saudi and Russia relations during 1991-2009, and the evolution of this relationship in the light of the domestic, regional and international changes, Due to the strategic importance of this relation for both countries and the reflection of these relations at the regional and international level.

The study reached to the fact that there is an effect of a set of regional and international changes on the closeness between the two countries at this period, specially after the 11th of September, 2001 events in the United States, and the American invasion of Iraq in March, 2003. The study recommended that there is importance to increase the exchange between the Kingdom of Saudi Arabia and the Russian Union, and establishing a strategic partnership that could help to exploit energy resources that both countries possess.

الفصل الأول

خلفية الدراسة ومشكلتها

1-1 مقدمة الدراسة

شهدت العلاقات بين المملكة العربية السعودية والاتحـاد الـسوفيتي تطـوراً ملحوظاً ومثيراً للتساؤلات، وأيضاً مثيراً للقلق لدى الغرب وواشنطن، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام 2001، حيث بدأ التفاهم والتنـسيق والتعـاون المتبادل بين البلدين في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية وحتـى الثقافية والدينية وغيرها، فلم يؤد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام 1991 إلى التنوع في خيارات السياسة الخارجية لروسيا تجاه دول الخليج العربية فظلت علاقات روسيا مع دول مجلس التعاون الخليجي خلال السنوات الأولى من تسعينات القرن الماضي علـى مستواها المتدني، وهو ما أدى إلى إضعاف وضع روسيا في منطقة الشرق الأوسـط وخاصة في منطقة الخليج العربي إذ لم تشهد العلاقات الروسية مع الـوطن العربـي تعنيداً ملموساً إلا عندما تقلد يففيني بريماكوف وزارة الخارجية الروسية عام 1996، وهو رجل معروف بميوله العربية واعتقاده بأهمية المنطقة العربية بالنـسبة لروسـيا، ومنذ تقلده لمهامه عمله ساعد على توسيع علاقات روسيا مع دول الخلـيج، وبالمثـل ومنذ انتخابه في آذار 2000 أولى الرئيس الروسي السابق فلاديمير بـوتين اهتمامـا خاصا لمسألة إقامة علاقات وروابط وثيقة مع الدول الخليجية، كانت مظـاهر تعـاون روسيا ودول مجلس التعاون الخليجي قد تعمقت في المجالات الاقتصادية والـسياسية والأمنية والثقافية وكان مجال الطاقة من ابرز مظاهر التعاون بين الطرفين.

شكلت أحداث 11 أيلول عاملاً حاسماً في توجه السعودية نحو تعزيز علاقتها مع روسيا خصوصاً وأن السعودية وجدت نفسها بعد الحادث أمام اتهامات قوية من قبل واشنطن بالتغاضي عن محاربة تنظيم القاعدة الذي نفـذ الهجـوم الـذي قـاده السعودي المنشق أسامة بن لادن، كما أن سقوط نظام البعث في العراق كان من أهم العوامل الحاسمة في سعي موسكو إلى تقوية حضورها في المنطقة (تميم، 2005).

تزامن ذلك مع بدء المملكة العربية السعودية بالبحث عن حليف استراتيجي يشغل الدور الذي كانت تشغله الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت روسيا الاتحادية تبحث عن الفرصة المناسبة لتعزيز وجودها في منطقة الخليج العربي لاسيما بعد فقدانها لأكبر شريك في المنطقة بعد زوال نظام الرئيس العراقي الراحل صدام حسين.

شكلت في عام 2003 بعض المحاور عائقاً دون التقارب السعودي الروسي وأهما: النفط، الإرهاب، الأيديولوجيات، قد تمكنت الدولتان من تجاوز العوائق خصوصاً بعد أحداث 11 أيلول 2001 وما نتج عنها من توجيه الحليف الإستراتيجي الأمريكي للسعودية أصابع الاتهام للرياض في تغاضيها عن محاربة أعضاء القاعدة المنفذين للحادث، لتدخل العلاقات السعودية – الأمريكية مرحلة المد والجزر والتوتر وفي نفس الوقت ليبدأ تحسن الأجواء التعاونية بين السعودية وروسيا وذلك بعد أن أدركت السعودية خطأ الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية وإغفال باقي دول صاحبة حق النقض " الفيتو" في مجلس الأمن الدولي، ولهذا بدأت بانتهاج سياسة التوازن في علاقاتها الخارجية لاسيما بعد زوال المسببات التي أجبرتها على التوجس من التقارب مع روسيا الاتحادية لاسيما فيما كان يسمى بمثلث المستحيل.

وعليه فقد كان النفط حجر عثرة في طريق تنمية العلاقات فالإتحاد الروسي بلد لا يحتاج إلى النفط والسعودية أيضاً، ولذلك كان من الطبيعي التنافس لا التعاون، وباختفاء نفط العراق خرجت روسيا إلى الساحة الأمريكية وبدأ الحديث عن إغراق نفطي روسي لأمريكا مقابل إبعاد السعودية عن السوق الأمريكية وتحكمها بالأسواق العالمية .

يأتي الإرهاب في المرتبة الثانية بعد النفط في محددات تطوير العلاقات بين البلدين، فقد وقفت مشكلة الشيشان حجرة عثرة أمام تنمية العلاقات بين البلدين، وبعد الاختراق الذي حققه (غورباتشوف) بإعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وأكمله الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسن بإرسال رئيس وزرائه تشيرنوميردين إلى السعودية وتوقيع اتفاقية لتعميق أطُر التعاون في 1994، لاسيما وأن الإرهاب قد طال الدولتين وأصبحت كلٌ من الرياض وموسكو مسرحاً لعمليات إرهابية طالت

المدنيين الآمنين وإستمر في عهد الرئيس فلاديمير بوتين وبعده الـرئيس ديميتـري ميدييف.

كانت الأيديولوجيات العقائدية في المرتبة الثالثة من حيث العوامـل المـؤثرة على العلاقات بين البلدين وخاصة في عهد الإتحاد السوفيتي المنهـار الـذي تبنـى العقيدة الشيوعية واضطهدت في عهده الأديان وحوربت، ورغم انهيار هذا الـركن بانهيار الإتحاد السوفيتي، فقد ظلت حالة القصور الذاتي مستمرة باعتبـار روسـيا وريثة الإتحاد وكانت السعودية وقتها حليفة لعدوه الأول أمريكيا، وذلك فيمـا كـان يسمى بالحرب الباردة بين قطبي العالم حينها الرأسمالي والاشتراكي، ومـا ترتـب عليها من تولد سياسة الاستقطاب والاحتواء المزدوج لدول العالم الثالث.

وقد استطاعت المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي تطوير علاقتهمـا في المرحلة ما بعد عام 1991 واكتسبت أبعاد إستراتيجية مهمة لإدراك الـدولتين أهمية زيادة مستوى التنسيق والتعاون بينهما، من هنا تحاول هذه الدراسـة تـسليط الضوء على محددات واستراتيجيات العلاقات المملكة العربية الـسعودية والاتحـاد الروسي في الفترة (1991-2009).

1-2 أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. البحث في العلاقات السعودية – الروسية منذ تأسيس الدولـة الـسعودية وحتى عام 2009، وذلك للتعرف إلى المراحل التي مـرت بهـا تلـك العلاقات، ومحاولة فهم العوامل التي أثرت عليها.
2. تحليل لأهم المحددات التي أثرت على العلاقات السعودية الروسية .
3. التعرف إلى مجالات التعاون الـسياسي والاقتـصادي بـين الـسعودية وروسيا.

1-3 أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من طبيعة العلاقات السعودية الروسية والمصالح الإستراتيجية التي تربط بين البلدين، إذْ أدركت المملكة العربية السعودية بعد أحداث 11 أيلول أهمية إعادة التوازن في علاقاتها الدولية وضرورة عدم التركيز على المحور الغربي المتمثل بالولايات المتحدة وأوروبا الغربية في علاقاتها، ولأن ذلك أثر بشكل سلبي على طبيعة علاقاتها الدولية، وذلك في ظل الإصلاحات الروسية وتخليها عن المنظور الأيديولوجي في سياستها الخارجية ورغبتها في إقامة علاقات تقوم على المصالح المشتركة والاعتماد المتبادل كإطار لسياستها الخارجية، من هنا بدأت العلاقات الروسية السعودية تتجه نحو النمو وتمتين هذه العلاقات سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي والثقافي والعسكري.

1-4 الأهمية العلمية:

يتطلب تحليل تطور العلاقات السعودية الروسية، فهم البيئة الإقليمية والدولية التي أدت إلى تطور العلاقات بينهما، وتُساهم هذه الدراسة في تسليط الضوء على تطور العلاقات بين الدولتين مما يساعد في إثراء موضوع الدراسة وفتح المجال أمام الدراسات الأخرى.

1-5 الأهمية العملية:

تنبع الأهمية العملية لهذه الدراسة من محاولتها تقديم تصور علمي يساعد صانع القرار في السعودية وروسيا على إدراك وفهم تطور العلاقات بين البلدين فهنالك قلة في الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع تطور العلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية، وعليه ستكون هذه الدراسة مساهمة جديدة في إثراء المكتبة العربية حول موضوع الدراسة.

1-6 مشكلة الدراسة:

تتمثل في إشكالية العلاقات السعودية الروسية للفترة 1991-2009 والتطورات التي شهدتها تلك العلاقات في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية، لما تكتسبه هذه العلاقات من أهمية جيوستراتيجية كبيرة لكلا الدولتين وانعكاس هذه العلاقات على المستوى الإقليمي والدولي.

1-7 منهج الدراسة:

تعتمد منهجية الدراسة على الإطار العلمي الذي يستفيد من عدة مناهج وأطر علمية في الوصول إلى حلول علمية لمشكلة الدراسية لذا تم الاعتماد في هذه الدراسة على المناهج التالية :

1. **المنهج التاريخي:** الذي سيتم الاستفادة منه في عرض المراحل التي مرت بها العلاقات السعودية الروسية, وبيان أهم المحددات التي أثرت على العلاقات السعودية الروسية .
2. **المنهج الوصفي التحليلي:** والذي سيسهم في وصف وتحليل طبيعة وتطور العلاقات السعودية الروسية والمتغيرات المؤثرة على تلك العلاقات على المستويين الإقليمي والدولي , وأهم المتغيرات الإستراتيجية التي حددت العلاقة بينهما .

1-8 أسئلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤل الرئيسي التالي:

السؤال الرئيسي - ما مستوى تأثير المتغيرات الإستراتيجيات ومحددات السياسة الخارجية السعودية على تطور العلاقات السعودية الروسية ؟

ويتفرع من هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

1. ما مراحل التاريخية التي مرت بها العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإتحاد الروسي؟

2. ما أسس ومرتكزات العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإتحاد الروسي؟
3. ما مجالات علاقات التعاون بين المملكة العربية السعودية و الإتحاد الروسي؟
4. إلى أي مدى أثرت التحولات في النظام الدولي على العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإتحاد الروسي؟
5. ما الدوافع التي أثرت على صانع القرار في المملكة العربية السعودية لإعادة بناء علاقاته مع الإتحاد الروسي؟

الفصل الثاني

الإطار النظري والدراسات السابقة

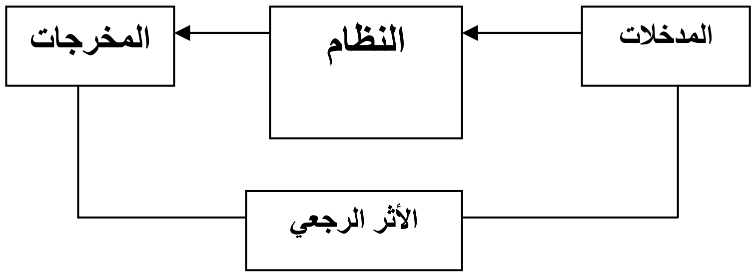
سنتحدث خلال هذا الفصل في الإطار النظري والدراسات السابقة.

2-1 الإطار النظري: نظرية النظم في العلاقات الدولية

تستخدم نظرية النظم أساساً في تطبيق على تفاعلات النظـام الـدولي، وإن استخدامها يكمن في التمكن من تحليل وفهم السياسة الخارجية في إطارها الأوسـع وتمييزها عن غيرها من النماذج التي تظهر في السياسة الخارجية للدول، إن مفهوم النظام في العلاقات الدولية هي استخراج مباشر لمفهوم النظام كما هو مستخدم فـي نظرية النظم العامة والتي تشكل مجهوداً علمياً من أجل إيجاد صلة بين كل حقـول المعرفة. وبسبب هذا الهدف الرئيس، فإن الدراسات في هذا الحقل تسعى لأن تكون متعددة الحقول ومن ثم تصبح ذات جذب كمصدر كافي احتيـاطي لعـدة مـدركات وتطلعات للمنظرين في العلاقات الدولية.(Joseph, 1973 ، ص98)

ساهمت كتابات بعض الباحثين في تطوير هذه النظرية ومن أبرزهم جـورج موديلسكي وريتشارد روزكرانس وماكنلاند واندرو سكوت وبارسونز، ولكن أبـرز دعاة هذه النظرية هو كابلان الذي ساهم في تحديد قواعد ونماذج للتفاعل وضـعها للنظام الدولي. والأهداف التي يسعى إليها في هذه النظرية هي "التوصل إلى القوانين والنماذج المتكررة في كيفية عمل هذه النظم وتحديد مصادر ومظاهر الانتظام فيها، وكذلك التوصل إلى استنتاجات عامة تتعلق بعوامل التوازن والاختلال التـي تحكـم تطور هذه النظم الدولية الرئيـسة والفرعيـة وانتقالهـا مـن شـكل إلـى شـكل آخر".(Joyantany ja,1993)

وقد أورد كابلان تحليل النظام بالشكل الآتي:



شكل رقم (1)

النظام الدولي

1- **المدخلات:** في حالة النظام الدولي فإن المدخلات تشتمل على: التجارة، المساعدة الاقتصادية والعسكرية، نشاطات المشاركة الخارجية الدولية، نقل التكنولوجيا، الدبلوماسية، الاتصالات، الإعلام الخارجي والمدخلات الثقافية.

2- **المخرجات:** وتتمثل بأبعادها السياسية الخارجية الاقتصادية والعسكرية والسياسية والتكنولوجية والثقافية.

3- **الأثر الرجعي أو التغذية العكسية:** يعني فيما إذا كانت السياسة الخارجية للدولة (أ) ملائمة للدولة (ب)، فإن قيمة المدخلات التي تحصل عليها الدولة (أ) من الدولة (ب) ستزداد. ومن وجهة أخرى فإن المدخل الموجه من قبل الدولة (ب) إلى الدولة (أ) لا يؤدي إلى النتائج المرغوب فيها للسياسة الخارجية للدولة (أ) والتي هي غير ملائمة، كما أن الدولة (ب) ستقلل من قيمة مدخلات (أ) أو توقفها من أجل تقليل التغيير في السياسة الخارجية للدولة (أ) لصالح الدولة (ب)، بمعنى أن توجه السياسة الخارجية السعودية نحو تعميق علاقاتها مع روسيا سوف يجد نتائج ايجابية كان لدى روسيان نفس التوجه.

المتغيرات المؤثرة على نظرية النظام

يمكن تصنيف المتغيرات المؤثرة على نظرية النظام إلى:(Joseph,1973)

أ- المتغيرات المستقلة المؤثرة في نظرية النظام وهي:

1- **الوحدة أو اللاعب:** إن الوحدة أو اللاعب في النظام الدولي هو كيان منظم رسمياً والذي هو غير خاضع كلياً لأي لاعب آخر. والدولة في ظل النظام الدولي الجديد تشكل النوع الأكثر بروزاً بين اللاعبين في النظام الدولي الأحادي القطبية.

2- **هيكل النظام الدولي:** يشير إلى طبيعة العلاقة بين اللاعبين على المستوى الدولي في فترة زمنية محددة، وهناك أنواع مختلفة من التجمعات من الأحلاف الرسمية إلى الجماعات غير الرسمية، وأنواع من التفاعلات المختلفة مثل نظام ثنائي القطبية والكتل وغيرها.

3- **العمليات:** ويمكن تمييزها عن الهياكل من خلال كونها تشير إلى أشكال وطرق التفاعلات. إنها تتضمن التفاعلات الفردية بينما تتعامل الهياكل فقط مع الانتظامات عبر الزمن. وهناك عدة طرق رئيسة لتحليل العمليات من خلال الوسائل العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية...الخ أما أشكال التفاعلات فإنها ثنائية ومتعددة وطبقاً لموقعها في النظام الدولي، فإنها تتراوح بين الصراع والتعاون وبين القسر والاقناع. وتدخل عناصر الفعل كمقيدات في حين تعد العوامل المؤثرة على العمليات بمثابة قواعد اللعبة.

المتغيرات التابعة: إن منهج النظام يمكن أن يستخدم لتفسير أية ظاهرة دولية والتي يتم التعامل معها لأغراض التحليل كمتغير تابع. ويمكن تصنيف المجاميع التحليلية بالشكل الآتي: (Joseph,1973)

1- **القوة:** هي ظاهرة سياسية تختلف عن الوسائل الأخرى، ويشير التعريف إلى القدرة على جعل الآخرين يسلكون السلوك السياسي الاقتصادي الاجتماعي للدولة التي تمتلك القوة ومثال ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي تفرض هيمنتها السياسية على كثير من دول العالم، وهناك مستويات لتحليل القوة:

أ. القوة كأداة.

ب.القوة كمحرك في العلاقات السياسية الدولية ويمكن تقسيم القوة إلى:

(1) القوة الكامنة.

(2) القوة المتاحة.

2- **إدارة القوة:** هو مفهوم يشير إلى المشكلة الرئيسة لتنظيم القوة، وغالباً ما تستخدم لوصف وتصنيف النظام الدولي. ونستطيع أن نحدد سيطرة مباشرة تحت النظام الأمريكي وسيطرة غير مباشرة في ظل مناطق النفوذ وتحت أشكال أنظمة الهيمنة، وكذلك أنموذج الحكم المشترك وذلك حينما يتعاون اللاعبون الرئيسيون في مراقبة القضايا الرئيسة حسب قواعد نظام التعاون الأمريكي الأوروبي وإن القوة يمكن أن تدار وفق مختاف أنواع التوازنات أو من خلال ترتيبات جماعية. (Joseph,1973)

3- **الاستقرار في النظام:** إن الاستقرار هو أحد جوانب النظام الدولي ويكون وفق النماذج التالية: (Joseph,1973)

أ-الاستقرار الهيكلي: ويقصد به الاستمرار في الاختلافات الأساسية في النظام بدون تغيير أساسي.

ب-الاستقرار الديناميكي: ويحدد اتجاه الحركة على نحو متعادل تبعاً لتوزيعات القوة.

أما التعبير المعاكس للاستقرار فهو عدم الاستقرار ويمكن أن يصنف إلى:

أ- الاستقرار الكامن أو الخفي.

ب- الأشكال الأخرى الاستقرار.

هناك صلة بين الاستقرار وإدارة القوة وهي عبارة عن ترتيبات فعالة لإدارة القوة. فالتغيير يمكن أن يؤدي إلى حالة من عدم الاستقرار، وذلك حينما يدرك ديناميكيا أو بشكل جامد. ولكن ليس بالضرورة ذلك فالتغيير يمكن أن يزيد من الاستقرار عن طريق تخفيض عناصر اللااستقرار بدون إظهار تغييرات كمية في المتغيرات الأساسية للنظام. وفي ظل نظام توازن القوى ثنائي القطبية فإن اللاعبين الأساسيين مقيدون بسبب قدراتهم النووية. (Joyantany ja,1993)

4- **التغيير في النظام الدولي:** هي ظاهرة معقدة تحدث عموماً في نماذج مترابطـة في المتغيرات المستقلة والتابعة. وقد اهتم المنظرون في العلاقات الدولية بدراسة ظاهرة التغيير في النظام الدولي عن طريق دراسة مداها وشكلها والدرجة التي تحققت في النمذجة وطبيعة درجة الاعتماد والترابط بين العوامل التراكمية وغير التراكمية، كما حدث في بداية عقد التسعينات من القرن الماضي والتحول مـن النظام ثنائي القطبية إلى الأحادي القطبية.

5- **انتقال النظام:** يشير النظام إلى التغيير النوعي في واحدٍ أو أكثر من المتغيـرات الأساسية. وهنا يجب إجراء التمييز بين الانهيار والانتقال إلـى نظـام آخـر، وبعض الفرضيات تتعامل مع درجة الترابط بين الوحدات كعامل لزيادة رجحان انتقال النظام أو دور اللاعب الأساسي في تطور النظام، مثـل دور الولايـات المتحدة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، حيث أصبح النظام الدولي مرتبطاً بالسياسة الأمريكية وتوجهاتها.

تطبيق مفهوم تحليلات النظم على المستوى الدولي

يقول مورتون كابلان أحد أبرز رواد النظرية، أن النظام الدولي يتكون مـن مجموعة من المتغيرات التي تترابط علاقاتها وتتـداخل، وتـؤدي تفـاعلات تلـك المتغيرات سواء داخلية أو خارجية إلى إنتاج أنماط متمايزة من العلاقات الدوليـة، ومن هنا فإنه بتحليل علاقات التأثير المتبادل التي تربط بين هذه المتغيـرات التـي يعتمد عليها توازن النظام الدولي، واستقراره، يمكن التعرف إلى جوانب الانتظام أو عدم الانتظام في أنشطته وعملياته. ويقول كذلك أنه عندما يتسبب أحد عوامل التأثير الداخل في إحداث نوع من التغيير الراديكالي في العلاقة التبادلية للمتغيـرات التـي يتألف منها النظام الدولي، أو في الخصائص الذاتية لبعض تلك المتغيرات نفـسها، فإنه لا بد وأن ينتهـي ذلـك بحـدوث تحـولات أساسـية فـي سـلوكيات هـذا النظام.(Kaplan, 1968)

وبالنسبة لجورج مودلسكي فإن النظام الدولي هو في حقيقته نظام اجتمـاعي يستند إلى مقومات هيكلية ووظيفية محددة، ويقول أن النظم الدوليـة تـشتمل علـى

أنماط متنوعة من التفاعلات السلوكية التي تحدد في التحليل الأخير الطابع المميـز لأداء كل واحد منها.(George, 1982، ص 24)

ويقدم روزكرينس مثالاً للنظريات الفرعية المختلفة التي أمكن للتحليل النظمي أن يجمع بينها وذلك على النحو التالي: (Steven, 1977):

1- **نظريات القوة:** وهي النظريات التي تقوم في جوهرها علـى الـربط بـين التحولات في السياسة الدولية، وبين التغير الذي يطرأ على توزيع القوة بين وحدات النظام.

2- **نظريات القيم والأيدلوجيات**: أنه إذا كانت القيم والأيديولوجيات المتماثلة قـد قامت دوما بدور هام في تحقيق الاندماج بين العديد من المجتمعات القوميـة وفي خلق الدافع إلى التكتل والتحالف وفي إنتاج الصراعات الدولية، وأيضاً فإنه إذا كانت الثورات الكبرى التي وقعت في العـالم قـد أدت إلـى زرع المشكلات الأيديولوجية في مختلف أوجه التعامل الدولي على نحـو غيـر مسبوق، ومثال ذلك منظمة المؤتمر الإسلامي التي جمعت عدداً كبيراً مـن الدول الإسلامية، وحلف وارسو الذي جمع الدول التي تتبنى الاشتراكية.

3- **نظريات التوازن:** أن نقطة الضعف الأساسية في مدخلي القوة والأيديولوجية تتمثل في أن هذين المدخلين يميلان إلى تجاهل ديناميكات التفاعـل المعقـد التي تحدث في النظام الدولي، وهو ما دفع نظريات التوازن. ومن تطبيقاتها ما كان سائداً بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي سـابقاً فـي مرحلة الحرب الباردة.

4- **نظريات اتخاذ القرارات:** تمثل هذه النظريات إطاراً ضيقاً ومحدوداً للتحليـل الدولي بحيث لا يمكن أن تكون لها سمة النظرية الشاملة، فهي تركز علـى الجوانب والإجراءات التنظيمية لعملية إتخاذ القرار، وعلى بعض المشكلات الرئيسية التي تعاني منها مثل : نقص الحقـائق والمعلومـات، أو ضـعف الاتصالات، أو ضعف الموارد،أو صعوبة تحديد الدوافع.

5- **نظريات القدرة البيئية :** كيرد روز كرينس أن المداخل النظرية السابقة تتجه بشكل واضح لأن تقلل من أهمية الدور الذي تؤديه القدرات البيئية كعامل مؤثر في العلاقات الدولية.

أهم الآراء والأفكار التي عبر عنها دعاة نظرية النظم في العلاقات الدولية:

أولاً : ماكليلاند والطبيعة المركبة للنظام السياسي الدولي:

يعتقد ماكليلاند أن النظام الدولي هو نظام متعدد التفاعلات والعلاقات فالدول ترتبط مع بعضها بمجموعة واسعة جداً من العلاقات على مختلف المستويات الرسمية وغير الرسمية، وهذه العلاقات تتفاعل في إطار ما يسمى بالحاجة والاستجابة وهو ما يعني بعبارة أخرى تداعي التفاعلات الدولية في مساق الأفعال وردود الأفعال.

يركز ماكليلاند بصفة خاصة على الجانب المتعلق بتحليل أنماط المعاملات التي تحدث بين الوحدات القومية(الدول)، في مختلف صورها التقليدية وغير التقليدية، وذلك باعتبار أن هذه التعاملات وما يتولد عنها من تفاعلات تساعد في التوصل إلى مؤشرات موثوق فيها عن العادات والخصائص السلوكية للأطراف الفاعلة في النظام الدولي والقابضة على زمام التوازن فيه. (Steven, 1977)

ثانياً : روز كرينس ومفهوم النظم الدولية المستقرة وغير المستقرة:

في ضوء الاستقراء التاريخي لتطور النظام السياسي العالمي، يقوم تحليله للنظم الدولية على أساس الدراسة التي أجراها لتسعة نماذج تاريخية من النظم الدولية التي ظهرت في منطقة أوروبا الغربية في الفترة من 1740 و 1960 ويتمثل خط التقسيم الفاصل بين هذه النظم التسعة في التغييرات الجوهرية التي طرأت على مضمون الأهداف والوسائل الدبلوماسية التي تبناها وطبقها كل منها ويدعي روز كرينس وجود بعض الظواهر المنتظمة في كل هذه النماذج التاريخية، التي تمت دراستها، وقد خاص إلى تقسيم النظم الدولية إلى: (George, 1982)

أ- النظم الدولية المستقرة: وهي النظم التي يسود في فيها توازن لعلاقات القوة داخل النظام.

ب- النظم الدولية غير المستقرة: والتي تـسود فيهـا الحـروب وعـدم الاستقرار السياسي والاقتصادي وتصبح الأداة العسكرية هي التي تحـدد نمط العلاقات بين وحدات النظام.

ثالثاً: النظام الدولي والتطور بأسلوب التفاعلات المعقدة في مفهوم دوجرتي:

ينظر دوجرتي للنظام الدولي على أنه كيان ذو طبيعة قابلة للتغيير بشكل دائم تبعاً للمتغيرات الدولية، والنظام قد يكون في مرحلة يمتاز فيها بالنمو والتطور فإنـه قد يظهر على وشك الانهيار في مرحلة أخرى، وبين هذين الاتجاهين مـن القابليـة للتطور إلى فقدان المقدرة على الاستمرار، يسعى النظام الدولي إلى الاحتفاظ بأدائه الطبيعي بشكل أو آخر، ولكن في كل الأحوال يظل هناك تغيير، والنظام الـسياسي العالمي تقوم بداخله كل صور التفاعل الدولي أيا كانت أطرافه ومـصادره، وهـو يتكون من أربعة أنواع على الأقل من النظم الدولية الفرعية:(Durselle, 1964)

1- النظم الدولية الوظيفية سواء أكانت هذه سياسية أو اقتصادية أو قانونية.
2- النظم الدولية الاقليمية ومن أمثلتها منطقة الاتحاد الأوروبي.
3- النظم القومية وهي أكبر أشكال النظم السياسية الدولية الفرعية وأكثرها انتشاراً لأنها تشمل كل الدول القومية الأعضاء فـي النظـام العـالمي بصفتها كيانات مستقلة، وذات سيادة بغض النظر عن اختلاف تكوينهـا العقائـدي أو الـسياسي أو الاقتـصادي أو الاجتمـاعي أو الثقـافي والحضاري، وتجمعها هيئة الأمم المتحدة.

رابعاً: سكوت وديناميكيات التفاعل في النظام الدولي:

يعتبر تحليل أندروسكوت لديناميكات التفاعل والتوازن في النظـام الـسياسي الدولي من أشمل التحليلات النظمية التي ظهرت حتى الآن، وأكثرها اقترابـا مـن أرض الواقع، وهو في هذا يختلف عن بعض مفكري هذه النظرية البارزين ككابلان مثلا، الذي يبالغ في التجريد النظري الذي يصل إلى حدود النظم الافتراضـية مـن صنع الخيال، ويحاول أندروسكوت أن يعدد بعض نتائج هذا التفاعل الدولي فيـذكر أن من بينها أو من أهمها: (Robert,1980)

(1) يساهم تزايد حجم التفاعل وتكثف عملياته على المستوى الدولي في مضاعفة التأثير المتبادل لأطراف النظام السياسي الدولي فيما قد يؤدي إلى مرحلة المواجهة بين أطراف النظام وبين وحداته.

(2) زيادة التفاعل بين وحدات النظام القائمة على مبدأ التعاون والمشاركة بما يسهم في خلق مصالح مشتركة جديدة وتوسيع المصالح المشتركة القائمة.

(3) كلما زادت مجالات التفاعل بين وحدات النظام الدولي، كان معنى ذلك أن إقدام أحد هذه الأطراف على تنفيذ إجراء هام داخل النظام، سيدفع بالأطراف الأخرى إلى الرد عليه بإجراءات محددة سواء كانت مضادة وعدائية أو مدعمة ومساندة.

تقييم نظرية النظم كأداة للتحليل العلاقات الدولية:

تعرضت النظرية كغيرها من نظريات السياسة الدولية لبعض الانتقادات الحادة التي تتمثل إجمالاً في الآتي:(Joseph, 1973)

أولاً :إن التفاعلات البالغة التعقيد التي تحدث داخل النظم الدولية على اختلاف مستوياتها من عامة وفرعية تجعل من الصعب رصدها وتحليلها وتحديد دوافعها ومعرفة الأسباب التي دفعت إلى اتخاذ سلوك كل واحد من أطراف هذه النظم ممثلا في استجاباته وردود أفعاله.

ثانياً: عدم توفر حقائق ومعلومات للمحللين في إطار مفاهيم نظرية النظم وأفكارها الرئيسية، وتأخذ عدة محاور منها: (مقلد، 1982)

أ- مدى توفر مصادر المعلومات من رسمية وغير رسمية.

ب- حجم ونوعية الحقائق المتوافرة عن مختلف عمليات الاتصال المتبادل بين أطراف هذه النظم الدولية كلها، التي تكشف مستويات الإدراك والاتجاهات والمواقف المتبادلة من عدائية وتوتر أو دعم ومساندة.

ج- درجة دقة وموضوعية المعلومة، أي مدى تطابقها أو عدم تطابقها مع الواقع الدولي كما حدث في الماضي، أو كما هو قائم في الحاضر.

وبالتالي فإن تحليل وفهم طبيعة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي لا يتم بمعزل عن فهم النظام الدولي إذ تأثرت العلاقات بين

الدولتين بتفاعلات النظام الدولي خلال القرن العشرين، وطبيعة المتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية التي أثرت على الاتحاد السوفييتي ثم روسيا الاتحادية في علاقتها مع المملكة العربية السعودية. (مقلد، 1982)

فقد أثرت البيئة الدولية على طبيعة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي، فمن الناحية السياسية نجد أن ظهور النظام الدولي الجديد وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على النظام الدولي واتخاذها لسياسات ازدواجية قد ساهمت إلى حد كبير في ظهور رفض من قبل كثير من الدول لهذه السياسات، وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001، وإعلانها الحرب على الإرهاب، كل هذه المتغيرات دفعت إلى تغيير في نمط العلاقة بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي وأدى إلى زيادة التعاون في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية. (حسين، 2003)

نظرية القوة

إن القوة هي إحدى الكلمات المستخدمة في العلوم السياسية بصفة عامة وفي العلاقات الدولية على وجه الخصوص، ونظراً لغياب المؤسسات والإجراءات المنوطة بحل الصراع بين الدول بالمقارنة لما عليه الحال في النظم الداخلية للدولة فإن مفهوم القوة يتخذ شكلاً صريحاً واضحاً على الصعيد الدولي. ومفهوم القوة كان ولا يزال من أبرز المفاهيم القديمة والحديثة في السياسة الدولية انطلاقاً من التركيز الدائم الذي عرفه الفكر السياسي حول قوة الدولة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

يعرف عالم السياسة البارز "روبرت دال" القوة بأنها "القدرة على جعل الآخرين يقومون بأشياء ما كانوا ليقوموا بها لولا ذلك"(Robert, 1980)، أن المقدرة على التحكم بالآخرين غالباً ما تكون مصحوبة بامتلاك موارد معينة، لذلك فإن السياسيين غالباً ما يعرفون القوة بأنها امتلاك موارد، وقد ركزوا على الموارد الملموسة مثل السكان والأرض والموارد الطبيعية والحجم الاقتصادي والقوات المسلحة مما يجعل القوة تبدو شيئاً ملموساً قابلاً للقياس ويمكن التنبؤ به أكثر مما يسمح به تعريف السلوك.

أولاً: تعريف القوة

مفهوم القوة غامض ويتداخل مع مفاهيم سياسية أخرى. ويعـرف كـل مـن بادلفورد ولنكولن القوة بأنها "امتلاك القوة المادية والعـسكرية والقـدرات" ولكـن بالمعنى الواسع الذي يستخدم فيه المصطلح فإنه يتضمن أكثر من ذلك أنها "المجموع الكلي لقوة وقدرات الدولة، أعدت وطبقت من أجل تطوير مصالحها الوطنية وتحقيق أهدافها الوطنية" (Rynolds, 1977) ويرى أيرنست هاس أن القوة هي "وظيفة لعـدة عوامل بعضها ملموسة مثل الموارد الأولية والانتاج الصناعي وبعضها غير ملموسة مثل التكنولوجيا والأخلاق" القوة هي مرادف للقوة العسكرية وتعرف بأنهـا "مقـدار القوة المتاحة لنخبة الأمة نحو إنجاز أية مساعدة معينة". (Padelford, 1967)

أثار مصطلح القوة جدلاً بين المختصين في العلاقات الدولية بسبب كثرة المعاني التي تضمنها ولتداخله مع عدد من المصطلحات. ولنأخذ مثالاً بسيطاً. فهناك دولة تبدو قوية أمام دولة أخرى إلا أنها في الحقيقة ضعيفة تجاه دولة ثالثة. فبلجيكا هي أقوى من لوكسمبورغ، الدولة الصغيرة، ولكنها ضعيفة تجاه الولايات المتحدة. إن القوة القسرية تعني استخدام وسائل الإجبار العسكرية والاقتصادية. وتحدد وسائل الإجبار من قبل اللاعب (أ) على اللاعب (ب) من أجل تحقيق الأهداف السياسية لدولة (أ) والقدرة تساوي التأثير ويقصد بها استخدام وسائل الإقناع مثل قيام اللاعب (أ) باستخدام القوة من أجل الحفاظ على الوضع الحالي أو تغيير سلوك اللاعب (ب) بطريقة تتناسب مع تطلعات اللاعب (أ) والقوة تساوي السلطة ويقصد بها الامتثال الطوعي للاعب (ب) لأوامر اللاعب (أ) ويدعم ذلك بواسطة أدوات اللاعب (ب) تجاه اللاعب (أ) مثل الاحترام، التضامن، التعاطف، المودة، القيادة والمعرفة. (مقلد، 1982س)

ويعرفها موركنثاو بـ "سيطرة الإنسان على عقول الآخرين وأفعالهم" ويضيف "ونحن نشير بتعبير السلطان السياسي إلى علاقات الإشراف المتبادل بين حاملي أية سلطة عامة وبين هؤلاء وبين الشعب بمجموعه"، ويرى بأن الميل للسيطرة بصورة خاصة يعد عنصراً ماثلاً في جميع الإرتباطات الإنسانية ابتداء بالأسـرة وعبـوراً

بالترابطات الأخوية والمهنية والمنظمـات الـسياسية المحليـة وانتهـاء بالدولـة". (موركنثاو، 1960، ص 60)

ثانيا: عوامل القوة الوطنية:

إن ظاهرة القوة هي ظاهرة كلية مكونة من جملة متغيرات متداخلة متفاعلة، فعوامل القوة تتبادل التأثير فيما بينها فإذا كان أحد عوامل القوة يعاني من اختلال فإنه سيؤثر في مجمل القوة الوطنية للدولة، وبالتالي قد يؤدي إلى التأثير على موقع الدولة في النظام الدولي. وتشمل عوامل القوة الوطنية للدولة ما يلي: (طالب، 1994، ص165)

العامل الجغرافي: إن اتساع مساحة الدولة مهم في توفير العمق الاستراتيجي للدولة، وفي إعطاء الدولة وفرةً وتنوعاً في الموارد الطبيعية (الناصر، 1991)، وإذا لم يكن للدولة قدرات اقتصادية وبشرية وتقنية تساهم في تعزيز ذلك العامل، فإنه سيتحول إلى مصدر ضعف قد يؤدي إلى إثارة الأطماع الخارجية بها.فاتساع المساحة يتطلب من الدولة أن تؤمن الاتصال بين أجزاء إقليمها بمواصلات ذات كفاءة عالية، بالإضافة إلى وجود قاعدة اقتصادية قوية قادرة على تحمل أعباء الدفاع عن إقليمها، بالإضافة أيضاً إلى وجود عدد سكاني ينسجم مع مساحتها. وتمتلك المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي مساحةً وموقعاً استراتيجياً يوفر لهما عمقاً دفاعياً مهماً بالإضافة إلى توفر موارد الطاقة التي تعد من أهم الموارد الاقتصادية للدولة في ضل الاعتماد الدولي على الطاقة. (نعمة، 1987)

العامل الديمغرافي: إن العامل السكاني يعتبر مصدراً من مصادر القوة للدولة وهذا العامل ليس محصوراً بالجانب الكمي (حجم السكان)، إنما مرتبط أيضا بالجانب النوعي للسكان (مستوى الأعمار – التعليم- الحالة الصحية – درجة التناسق القومي والديني – مستوى المعيشة الاقتصادية).

فالعامل الكمي للسكان لا يترجم حقيقة قوة الدولة، إذا لم يقترن بالجانب النوعي للسكان (بدوي، ومرسي، 1989، ص116)، فعدم التجانس القومي والديني قد يؤدي إلى صراع داخلي يفقد الدولة وحدتها وتماسكها الداخلي، الأمر الذي يؤثر سلبياً على سياستها الخارجية . كما أن العامل السكاني يلعب دوراً في تدعيم القدرة

العسكرية للدولة من ناحية الجانب العددي للقوات المسلحة (نعمة، 1987)، بالإضافة إلى أن العامل الديمغرافي يساهم في تدعيم القدرة الاقتصادية للدولة، فالإنتاج الاقتصادي الضخم بحاجة لتوافر قوة بشرية تسير الإنتاج، بالإضافة إلى أن الإنتاج الصناعي يحتاج لسوق استهلاكي، من هنا تبرز أهمية العامل السكاني في امتصاص الإنتاج خاصة في الدول حديثة التصنيع. إلا أن العامل السكاني قد يكون عاملاً من عوامل الفقر والتخلف، وقد لخص (ماوتسي تونغ) هذه المشكلة بقولة "إن أية ولادة هي فم جديد يجب تغذيته، ولكنها أيضاً ساعدان إضافيان في العمل".(الناصر، 1991)

الموارد الطبيعية والأولية: إن الدول التي تمتاز بخصوبة الأراضي اللازمة للإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية يدعم قدرتها على تحقيق الاكتفاء الذاتي، وهذا يساعدها على انتهاج سياسة خارجية متحررة من الضغوط الخارجية (شفيق، 1985). كما أن توافر الموارد الأولية كالمعادن مثل الحديد والألمنيوم الذي يدخل في صناعة الطائرات ...الخ، ومصادر الطاقة الأولية كالفحم والبترول ...الخ، وكذلك المواد الخام تُمكن الدولة من تدعيم قاعدتها العسكرية والصناعية، بالإضافة إلى إمكانية استخدام الفائض في الموارد الطبيعية والأولية للأغراء والعقاب كمؤثر قوي على الدول التي هي بحاجة لمثل تلك الموارد الأولية. إلا انه يرتبط بهذا العامل القدرة على استغلال الموارد الطبيعية والأولية، الأمر الذي يقتضي تجهيزات تقنية وإمكانات مالية ضخمة لاستغلالها بشكل فعال. وتتوفر الموارد الطبيعية وخصوصاً موارد الطاقة والنفط والغاز بكميات كبيرة في كل من السعودية وروسيا، إذْ تعد الدولتان من أكبر الدول المصدرة لهذه المواد.(الناصر، 1991)

التقدم الصناعي: إن التقدم الصناعي يتمثل بإقامة الصناعات التحويلية وليس الصناعات الإستخراجية، فالأولى تعتمد على تحويل المواد الخام الأولية لسلع مصنعة، بينما الثانية تقتصر على استخراج مثل تلك المواد الخام الأولية فقط، من هنا فحتى بتوافر المواد الأولية مع عدم وجود قاعدة صناعية متقدمة تتيح لها استغلالها في تدعيم قدراتها الصناعية والعسكرية، فإنها تظل إمكانيات معطلة (الناصر، 1991).

ونتيجة التخلف الصناعي فالبترول العربي رهين بسوق الطلب العالمي، وهذا ينطبق على معظم دول العالم المتخلفة صناعياً والتي تمتاز بوفرة المـواد الأوليـة لديها، والتي ما زالت على الرغم من ذلك ضعيفة ومتخلفة، أي أن هنـاك اعتمـاداً متبادلاً بين عاملي الموارد الطبيعية والأولية والتقدم الصناعي.

1- **التقدم العلمي والتكنولوجي والتقني:** إن لهذا العامل دوراً في تدعيم عوامل القوة الوطنية للدولة، فالدولة المتخلفة علميا وتكنولوجيا هي دولة متخلفـة عـسكرياً واقتصادياً وسياسياً والعكس صحيح، ويكفي أن نشير إلى كيفيـة التغيـر فـي موازين القوى الدولية نتيجة التقدم العلمي والتكنولوجي في مجال الذرة واختراع الأسلحة النووية(شفيق، 1985، ص65)، وهذا يتطلب قدرات اقتصادية قـادرة على مواكبة التطورات في مجال التكنولوجيا والتقنية.
2- **العامل العسكري:** وهذا العامل مرتبط بالتقدم التكنولوجي والتقني وبالتقدم الصناعي.
3- **العامل الاقتصادي:** إن الاقتصاد هو شريان القوة وهو القاعدة التي تدعم العوامل الأخرى .
4- **الأوضاع السياسية والاجتماعية:** إن لاستقرار نظام الحكم ولطبيعة القيادة وطبيعة نظام الحكم، وكذلك للمعنويات الوطنية والتماسك الاجتماعي دورها في إعطاء الدولة قوة في سلوكها الخارجي(نعمة، 1987، ص48).

على الرغم من أهمية القوة في العلاقات الدولية، إلا أن قول منظري المدرسة الواقعية هي الدافع الأساسي الوحيد لحركة العلاقات الدولية على مر التاريخ كان موضع نقد. فهناك عوامل أخرى غير القوة قد تكون عوامل روحية ومعنوية مؤثرة في السياسة الدولية. فضلاً عن صعوبة تحديد درجة القوة وقياسها عند بحث السياسات الدولية، وسط تضارب المفاهيم المختلفة للقوة وصعوبة التمييز بين تلك المفاهيم.(مقلد،1982)

لعل سياسة القوة تنسجم مع المفاهيم الغربية للعلاقات الدولية، إذ انطلقت هذه المفاهيم من الفلسفة السياسية المادية التي نشأت في الغرب، وتطورت في عصر النهضة الأوروبية لتبلغ ذروتها إبان الثورة الصناعية وما ولدته من تفاعلات

ومتغيرات في مسار السياسة الدولية، بحيث أصبحت تمارس سياسة القوة بمعزل عن الحق والعدل، وهذا ما ينسجم أصلاً مع جوهر المنهج الواقعي والنظريات الواقعية التي عرفتها العلاقات الدولية. في حين نجد علاقة وطيدة بين القوة والحق في الحضارات الشرقية، ومنها الحضارة العربية الإسلامية إذ أن القوة أداة الدفاع عن الحق، فالقوة تصبح ضرورة لتكريس الحق، وليست هي غاية في ذاتها.

ويمكن تطبيق هذه النظرية في تحليل طبيعة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي في الفترة 1991 إلى عام 2009 يمكن اعتبارهما من الدول التي لها ثقل على المستوى الإقليمي والدولي، فالمملكة العربية السعودية وبما تمتلكه من موارد الطاقة والمكانة الدينية واستقرار النظام السياسي جعلها من الدول الفاعلة في المنظومة الخليجية والعربية، وروسيا كذلك تعد من القوة المؤثرة في النظام الدولي بما يمتلكه من مقومات سياسية وعسكرية وموارد طاقة جعلها فاعلاً رئيسياً في العلاقات الدولية، وهكذا فإن كلا الدولتين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي تعد من القوى الدولية والإقليمية التي تؤثر على النظام الدولي وتتأثر علاقتهما بالمتغيرات الدولية والإقليمية والتي شكلت أحد الدوافع الرئيسية في تمتين العلاقات بين الدولتين وذلك على أساس المصالح المشتركة فيما بينها.

2-2 الدراسات السابقة

قليلة هي الدراسات التي تناولت موضوع الدراسة ومنها:

دراسة قام بها (العتوم، 1992). **سياسة الإتحاد السوفيتي اتجاه عملية السلام في الشرق الأوسط.**، تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية الدور الـذي كـان يلعبـه الاتحاد السوفيتي سابقاً كدولة عظمى عايشت المراحل المختلفة التي مر بها الصراع العربي الإسرائيلي وأسهمت إسهاماً فعالاً مساهمة فعالة فـي إدارة هـذا الـصراع وتطوراته. مما يعكس بشكل واضح تطورات الموقف السوفيتي من هذا الـصراع، وتهدف هذه الدراسة إلى البحث في حقيقة الموقف السوفيتي من الـصراع العربـي الإسرائيلي وتطوراته، وبشكل خاص بين عامي (1980-1990م) وذلـك بتحليـل الموقف السوفيتي من التسويات السلمية للصراع العربي الإسرائيلي ومـن هجـرة

اليهود السوفيت إلى إسرائيل ممهدين لذلك بفعل يحال الموقف السوفيتي من الحروب العربية الإسرائيلية، لقد اهتم الاتحاد السوفيتي بالصراع العربي الإسـرائيلي بحكـم مركزه كدولة عظمى ومصالحه في منطقة الشرق الأوسط، ومن هنا فـإن الاتحـاد السوفيتي يولي هذا الصراع اهتماماً كبيراً ينبع من الأهمية القصوى التـي تحتلهـا منطقة الشرق الأوسط في السياسة والاستراتيجيه السوفياتيه منذ القدم، والتي تمليهـا جملة من الأسباب، أهمها الموقع الجغرافي القريب لحدود الاتحاد السوفيتي الجنوبية، والموارد الطبيعية الموجودة في المنطقة، والموقع الاستراتيجي المهم الذي تتمتع به هذه المنطقة، إضافةً إلى المياه الدافئة على البحر المتوسط التي يحلم السوفيت فـي الوصول إليها منذ وقت طويل.

دراسة (النجار، 2003). **بعنوان: "أطماع روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي في الخليج العربي والجزيرة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواخـر القرن العشرين"،** هدفت هذه الدراسة إلى تحليل أطماع الاتحاد السوفيتي وروسيا في منطقة لدراسة إلى قسمين يتناول القسم الأول الثوابت في السياسة الروسية الخارجية تنفيذاً لوصية بطرس الأكبر (التي تدعو للوصول إلى البحار الواقعة إلى الجنوب من روسيا بأي شكل من الأشكال) إلا أن روسيا كما هو معروف، عجزت عن النفاذ إلى مياه تلك البحار الدافئة التي كانت تمني النفس بها وتعمل من أجل تحقيقها وخاضت معارك سياسية لا حصر لها جوبهت برد فعل أوروبي عنيـف حـال دون تحقيـق أمانيها إلاّ بحدود ضيقة وغير مؤثرة. أما القسم الثـاني فتنـاول سياسـة الاتحـاد السوفيتي الذي حاول سلوك سياسة جديدة لتحقيق أهدافه بوسائل وأساليب تقوم على المصالح المشتركة والاعتماد المتبادل.

دراسة (التركي، 2006**)، بعنوان: " العلاقات السعودية الروسية في ضـوء المتغيرات الإقليمية والدولية"**، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل العلاقات الـسعودية-الروسية (السوفيتية سابقاً) بهدف تحديد آفاق ومستقبل العلاقات بين البلدين في ضوء المتغيرات الدولية الراهنة. وعلى هذا فإن مادة البحـث تتمثـل فـي الاسـتعراض التاريخي لهذه المسألة، إضافة إلى الجانب السياسي الأمر الـذي يتطلـب دراسـة الظروف المحيطة بهذه العلاقات من مختلف الجوانب. من هنا فإن كلا من جـانبي

التحليل سيراعي وجهة النظر المتعلقة من جانبه بفترة النصف الثاني من العشرينيات، ومن جانب آخر بفترة بداية التسعينيات من القرن الماضي. ولئن كان المقصود في الحالة الأولى إقامة هذه العلاقات التي اتخذت شكل علاقات سياسية مباشرة بين البلدين، فإنها في الحالة الثانية، اتخذت شكل استعادتها شكلياً، لكنه في جوهر الأمر، يمثل استئنافها مرة أخرى. وتخلص الدراسة إلى أن التحليل السياسي يعد جزءاً لا يتجزأ من مجمل الاتصالات والعلاقات المتجددة السعودية-الروسية، فتحليل فترة العلاقات التي بدأت بعد عام 1990م، ربما تعتبر الفترة الأكثر مبدئية في العلاقات بين الدولتين. ويهدف التحليل المبدئي لهذه الفترة إلى إعطاء الجواب عن السؤال حول هل يمكن للتعامل السعودي-الروسي في تلك المناطق-أن يتخلص من صفة الخصام و"التأزم" الذي اصطبغت به.

دراسة (الجبور، 2008). بعنوان: " الدور الروسي في النظام العالمي الجديد 2000-2006، هدفت هذه الدراسة إلى تحليل الدور الروسي في النظام الدولي الجديد في عهد الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين، وقد سلطت الدراسة الضوء على ملامح الدور الروسي في العلاقات الدولية في هذه المرحلة من العام 2000-2006م، التي شهدت فيها السياسة الخارجية الروسية تحولات مهمة في مجال إعادة الهيبة والمكانة والموقع الذي يجب أن تكون عليه السياسة الخارجية الروسية في ظل النظام الدولي الجديد والتي عبرت عنها مواقف الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين تجاه الأحداث السياسية على المستوى الأقليمي والدولي، وقد أبرزت الدراسة ضعف الموارد الاقتصادية التركيبة السكانية ومن أهمها مشكلة الأقليات، وتدهور الاقتصاد وضعف أجهزة النظام، والمتغيرات الخارجية المرتبطة بالهيمنة الأمريكية على السياسة الدولية والوضع السياسي الذي أثر على السياسية الخارجية الروسية، ثم تناولت الدراسة نقاط القوة والضعف في السياسة الخارجية الروسية، والدور الذي قام به الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين كي تأخذ روسيا مكانتها في الخريطة السياسية الدولية.

دراسة (العكيدي، 2009). بعنوان: " العلاقات السعودية- الروسية بعد أحداث 11 أيلول 2001"، وقد خلصت الدراسة إلى أن ما جرى في الولايات

المتحدة في الحادي عشر من أيلول عام 2001 قد انعكس بشكل كبير على السياسة الأمريكية الخارجية، إذ أنها التجأت إلى استخدام القوة العسكرية ضد الدول التي وضعتها على قائمة الدول الراعية للإرهاب كأفغانستان والعراق، وتعدى الأمر إلى إنها اتهمت اكبر حليف لها في المنطقة بدعمه للعمليات التي استهدفتها، وبذلك ساءت علاقتها مع المملكة العربية السعودية بشكل كبير. وأنه من الواضح أن الرفض السعودي لإقامة علاقة مع الاتحاد السوفيتي السابق كان سببه عدم رغبة الولايات المتحدة في إقامة هذه العلاقة، بسبب التأثير الكبير للولايات المتحدة على السعودية، إلا أن هذا التأثير تبدد بعد أحداث 11 أيلول، ولم يعد للسعودية بد من إقامة علاقة مع روسيا خصوصا بعد زوال السبب الرافض لإقامة هذه العلاقة. وأن السياسة الخارجية لأي دولة في العالم تعتمد في تعاملها مع الآخرين على المكاسب التي ستجنيها من هذا التعامل، فبمجرد أن ساءت العلاقة بين الولايات المتحدة والسعودية لجأت الأخيرة إلى البحث عن حليف جديد يكون ثقله بثقل الحليف القديم، فوجدت ضالتها في روسيا، إذ شعرت السعودية أن المصلحة تستوجب إقامة علاقة مع روسيا، وعلى هذا الأساس استندت العلاقة بين المملكة العربية السعودية وروسيا.

دراسة (الطائي، 2009**) بعنوان: "الخليج العربي في الإستراتيجية الروسية المعاصرة**" وقد تناولت الدراسة الأبعاد الأساسية والمحددات الرئيسة للاستراتيجية الروسية في عهد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تجاه دول مجلس التعاون الخليجي والتي تتمثل بالعنصر الأمني والعامل الاقتصادي، وتناولت الدراسة التحديات التي تمثلها الجماعات الإسلامية داخل روسيا والتي تعتبر تهديداً لأمنها، وفي هذا السياق تبرز قضية الشيشان من جهة وحقيقة وجود نحو 20 مليون مسلم يعيشون داخل روسيا من جهة ثانية، لذلك تسعى روسيا إلى إقامة علاقات مع الدول الخليجية وبالأخص المملكة العربية السعودية والتي ترى فيها أنها ذات تأثير كبير على هذه الجماعات. وتناولت الدراسة تطلع روسيا إلى استقطاب استثمارات من الدول الخليجية وحوار منتظم حول قضايا الطاقة وأسعار النفط لذا تعمل على تفعيل علاقاتها مع الأقطار الخليجية في شتى المجالات من أجل تحقيق أهدافها في منطقة الخليج العربي.

أما بالنسبة لهذه الدراسة فإنها تتميز عن الدراسات السابقة بمحاولتها تحليل المحددات والمتغيرات الإستراتيجية التي أثرت على تطور العلاقات السياسية بين المملكة العربية السعودية كقوة إقليمية مؤثرة في المنطقة والاتحاد الروسي كلاعب سياسي مؤثر في العلاقات الدولية حيث تعد روسيا قوة دولية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وخصوصاً في المرحلة الراهنة، ودراسة العلاقات بين هاتين القوتين يساعد في فهم وتحليل العلاقات العربية الروسية وتأثير تطور هذه العلاقات على كثير من قضايا المنطقة التي أصبحت تشكل نمطاً جديداً لسياسة المملكة العربية في إعادة التوازن لعلاقاتها الخارجية، وقد تأثرت العلاقات بينهما بالمتغيرات على الساحة الدولية ومن أهمها انهيار الاتحاد السوفييتي وما تبع ذلك من تحول في النظام الدولي، وأحداث الحادي عشر من أيلول التي أسهمت في تضييق نمط العلاقات الدولية وإعلان الحرب على الإرهاب، وقد أدت إلى تدهور في العلاقات السعودية الأمريكية ساهمت في بحث المملكة عن توازن في علاقاتها الدولية وتحسين علاقاتها مع روسيا الاتحادية من خلال تبنيها للعديد من الاستراتيجيات لتعميق التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية، وهكذا فإن هذه الدراسة تتميز عن الدراسات السابقة بمحاولتها دراسة التحولات والمتغيرات المؤثرة على العلاقات بين الدولتين والاستراتيجيات ومجالات التعاون.(في الفترة 1991-2009)

الفصل الثالث

التطور التاريخي للعلاقات السعودية الروسية

شهدت العلاقة السعودية الروسية تحولات مهمة وصلت إلى حدود القطيعـة، قبل أن تعود إلى تطورها مع استشعار موسكو بخطورة المشروع الأميركـي فـي المنطقة، مما دفع بالرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين إلى محاولة توطيد العلاقة الروسية العربية، وخصوصاً مع المملكة العربية السعودية، وسنحاول في هذا الفصل تتبع المراحل التاريخية التي مرت بها هذه العلاقات منذ عام 1926 وحتـى عـام 2009 من خلال تقسيم الفصل إلى الآتي:

3-1 مرحلة الوفاق والتعاون(1926-1938م)

تعود علاقة الاتحاد السوفيتي سابقاً بمنطقة الخليج العربي إلى أيام الأبـاطرة الروس وبالتحديد إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حين حـاول الـروس الاندفاع إلى المشرق عموماً ومنطقة الخليج العربي بوجه خاص، هذا الاندفاع كـان محكوماً بوصية بطرس الأكبر والتي جاء فيها "توغلوا حتى تبلغوا سواحل الخلـيج فتعبروا المياه إلى الطرق التجارية القديمة مع الشرق الأدنى". كمـا أن الاعتـراف الروسي بمنطقة الخليج العربي وبوجودها وأهميتها جاء ضمنياً من خـلال التوقيـع على اتفاقية عام 1907 مع بريطانيا، والتي كونت في جزء منها اعترافاً صريحاً بان منطقة الخليج هي منطقة نفوذ بريطاني بلا منازع، وأن لبريطانيا الأفضلية المطلقة في جنوب إيران وعربستان. وانصب اهتمام الاتحاد السوفيتي وبعد نجـاح ثـورة أكتوبر 1917 وخلال المرحلة الأولى من حكم الرئيس السوفيتي جوزيف سـتالين، على تعزيز السلطة في إطار الحزب والدولة، وتأكيد مبدأ الاشتراكية في بلد واحـد، وعدم التعرض إلى السيطرة البريطانية المتنفذة في منطقة الخليج العربي.(بن صقر، 2007، ص12)

بدأت العلاقة بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي السابق، بافتتاح قنصلية سوفيتية في جدة عام 1924، وكان الاتحاد السوفيتي الدولة الأولـى التـي اعترفت في 6 شباط 1926 بالمملكة العربية الـسعودية (مملكـة الحجـاز ونجـد

وملحقاتها)، وسلم القنصل السوفيتي آنذاك "كريم حكيموف" إلى الملك عبد العزيز آل سعود مذكرة اعتراف بالسلطة الجديدة. وفي عـام 1930 تـم تحويـل القنـصلية السوفيتية في جدة إلى سفارة. (معمر، 2000)

وفي عام 1932 زار نائب الملك الأمير فيصل بن عبـد العزيـز الاتحـاد السوفياتي، حيث طلب تقديم مساعدات اقتصادية إلى المملكة، لكن الزعيم السوفياتي جوزف ستالين، المنهمك بالقضاء على الفقر المستشري في أرجاء الدولة السوفياتية الوليدة وتحويلها إلى دولة صناعية جبارة، لم يلب هذا الطلب، وقام باستدعاء السفير السوفياتي عام 1938، ولم يتم تعيين بديل عنه حتى عام 1990. وفي هذه المرحلة اشتعلت الخلافات الإيديولوجية بين البلدين. ومع الوقت تحولت الرياض إلى خـصم للشيوعية، وكانت تحاول التأثير فكرياً على جمهوريات الاتحاد السوفياتي المـسلمة، وتحولت هذه الخصومة إلى مواجهة شبه مباشرة في الثمانينيات من القرن الماضـي في أفغانستان. حيث قامت المملكة بتمويل المقاومـة الأفغانيـة. (معمـر، 2000، ص29)

شهدت بداية هذه المرحلة تقارباً كبيراً بين البلدين إذ كانت روسيا من أوائـل الدول المبادرة للاعتراف بالمملكة العربية السعودية في دولتها الثالثة على يد الملـك عبد العزيز آل سعود في 6 شباط 1926م وأقامت معها علاقات دبلوماسـية، وفـي هذه المرحلة تغلبت المصالح المشتركة في مقاومة الاستعمار على الخلافات العقائدية بل إن روسيا اعتبرت المملكة من حركات التحرر الوطني المنـاهض للاسـتعمار الغربي وأولتها اهتماماً خاصاً لعدة عوامل أهمها القرب الجغرافي لحدودها الجنوبية، وعليه فقد كانت السعودية بالمقابل أول دولة عربية تقيم علاقـات دبلوماسـية مـع روسيا ومن جهتها فقد اختارت روسيا سفيراً مسلماً لها في السعودية من كازاخستان يدعى /نظير توريا كولوف/ وقد مكنه وضعه كمسلم من التغلـب علـى الـسفراء المسيحيين في زيارة الأماكن المقدسة والتقرب من المملكة العربية الـسعودية.(بـن صقر، 2007، ص 14)

أما عن أهم أحداث المرحلة فهي زيارة الأمير فيصل بن عبدالعزيز في أيار 1932 لموسكو وكان حينها نائباً للملك على الحجاز وكانت دعوة الزيارة موجهة من

رئيس مجلس السوفيت الأعلى (البرلمان) ميخائيل كالينين الشخص الثاني في القيادة السوفيتية، وكانت زيارة الأمير فيصل هي أول زيارة لزعيم عربي إلى روسيا حينها، أضف لذلك ما اكتسبته الزيارة من أهمية كبيرة في مد جسور التعاون قبل تبلور سياسة الاتحاد السوفيتي الشيوعية، وقبل أن يجد التعاون الأمريكي السعودي هدفه المشترك في معاداة الخطر الشيوعي في العالم العربي والإسلامي إضافة إلى نظرة الرياض للدور الذي لعبه الاتحاد السوفيتي تجاه تسليح الجيوش العربية لمجابهة إسرائيل بعين الرضا، وحتى في العقد الأخير من القرن المنصرم فإن المثقفين السعوديين نظروا إلى المواقف المهتزة لروسيا تجاه القضية الفلسطينية على أنها مواقف محايدة على الأقل. (أكيرمان، 2003، ص 20)

3-2 مرحلة الفتور والقطيعة(1939-1991م)

شهدت هذه المرحلة حملات سياسية سعودية ضد النظام الشيوعي الماركسي، وكانت الحملة الأكبر تلك التي شنتها السعودية ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان حتى تم الانسحاب السوفيتي عنها.

وقد شهدت هذه الفترة فتوراً كبيراً في علاقات البلدين وصولاً إلى إغلاق السفارة الروسية في جدة عام 1939م لتستمر (50) عاماً بعدها من القطعية، غير أنها شهدت في بعض الأحيان تواصل غير مباشر. ومن أسباب التوتر سياسة الرئيس الروسي السابق ستالين وشنه حملة قوية على الأديان.(أكيرمان، 2003، ص 22)

ومن بعض أوجه التقارب خلال هذه المرحلة قبل انهيار الاتحاد السوفيتي بعشر سنوات عندما كانت السعودية تدعم مسلمي الاتحاد السوفيتي عبر رابطة العالم الإسلامي واستقبلتها سياسة غوربتشوف في 1985م وسمحت لها بدعم مسلمي السوفيت روحياً ومادياً وقامت الرابطة المدعومة من المسؤولين السعوديين برحلات مكوكية عبر أراضي الاتحاد الشاسعة، ولم تكن بأكثر من تأكيد على الصورة الذهنية عن سوء الأحوال الدينية والاجتماعية لمسلمي الاتحاد واكتشاف عدم فاعلية

البث الإذاعي السعودي الموجهة من جدة يومياً بمقدار ساعة.(بن صقر، 2007، ص 18)

اقترنت نهاية الحرب العالمية الثانية بأول خطوة لتصفية الاستعمار، وكسبت أقطار العالم العربي، والشرق الأوسط في المقام الأول صفة الدول السياسية المستقلة، وباتت من الأطراف الفاعلة في المنظومة الإقليمية الجديدة للعلاقات الدولية. ولم يكن نشاطها من هذه الناحية ممكنا من دون مستوى معين للعلاقات مع الدول الكبرى، وكان الاتحاد السوفيتي إحدى تلك الدول، وإلى ذلك دخل الاتحاد السوفيتي في مجال نشاطه الدولي، في مواجهة مباشرة ضد الدول الاستعمارية، ولذا اعتبرته الأطراف الجديدة في السياسة الشرق أوسطية قوة قادرة على مساعدتها في بناء منظومة للعلاقات بين الدول تستجيب لمصالحها على المستوى الإقليمي. وشهدت حقبة الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين بدايات نشوء العلاقات والاتصالات العربية السوفيتية المتتالية، والعلاقات بين السوفيت وباقي أقطار الشرق الأوسط، واتسعت كثيراً إمكانات لعب الاتحاد السوفيتي دوراً من مؤثرات في المنطقة العربية. (الرشيدي، 2001، ص 35)

وكانت للمملكة العربية السعودية في العام 1950م علاقات دبلوماسية كاملة وقائمة على تبادل السفراء مع دولتين فقط من دول العالم، هما بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية أكبر دولتين في الغرب. إضافة إلى بعثات دبلوماسية (معظمها قنصليات) لدول أخرى في مقدمتها أقطار العالم العربي، والعالم الإسلامي. أما العلاقات السعودية السوفيتية فقد ظلت على حالها، كما كانت قبل الحرب العالمية الثانية، بقيت "مجمدة" وهذا يعني أن الاتصالات بين البلدين تجري بمحض الصدفة، ولم يكن ذلك يحول بالطبع دون استخدام قنوات سفارتي الدولتين في لندن. (أكيرمان، 2003، ص 29)

وفي سياستها الدينية الإسلامية كانت للمملكة العربية السعودية مصلحة في أداء الرسالة التي حددتها. وفي إطار هذه الرسالة كانت المملكة بالطبع تحتاج إلى إضعاف الهيمنة الإقليمية للدول الأوروبية التي لعبت بريطانيا دور الريادة فيها. وإلى ذلك فإن التجربة السابقة في السياسة الخارجية السعودية (وعلى سبيل المثال

العلاقات السعودية السوفيتية، وكذلك الصلات السعودية الألمانية إبان الحرب العالمية الثانية، والعلاقات الاقتصادية السعودية الأمريكية المباشرة التي قامت قبيل الحرب) ساقت الدليل القاطع على مصلحة السعودية في تطور الأحداث في هذا الاتجاه. ومع ذلك لم يحاول الملك عبد العزيز أن يوظف لهذا الغرض إمكانية استئناف الاتصالات الدبلوماسية المباشرة مع الاتحاد السوفيتي. (عبد العليم، 2001، ص 28)

كانت تجربة إقامة الاتصالات الدبلوماسية السوفيتية السورية، والسوفيتية اللبنانية، وتحول سورية ولبنان إلى أول دولتين في العالم العربي والشرق الأوسط تقريباً تقيمان علاقات مع الاتحاد السوفيتي في العام 1944م (حذت حذوهما فيما بعد مصر، والعراق، وليبيا) قد أثبتت أن الجانب السوفيتي كان مستعداً لتطوير العلاقات بالكامل مع الأطراف الفاعلة في منظومة العلاقات الإقليمية العربية الجديدة إلا أن الملك عبد العزيز كان يخشى أن يكون الاتحاد السوفيتي يهدف إلى ملء الفراغ الذي تتركه في المنطقة انسحاب الدولتين الاستعماريتين بريطانيا، وفرنسا. وبذلك ارتسمت بعض أبعاد الفوارق بين طرق وسبل أداء رسالة الدولة السوفيتية من جهة، وسبل أداء رسالة المملكة من جهة أخرى. ففي السابق كان يطمح إلى إزاحة الخصوم من منطقة الشرق الأوسط (وملء الفراغ السياسي الذي يمكن أن ينشأ عن ذلك).(بن صقر، 2007، ص 30)

كان العامل الأيديولوجي الإسلامي المحرك الرئيس للملك عبد العزيز، وقد استحدث عناصر جديدة في تنظيم المجال الجيوسياسي في الشرق الأوسط، وكانت المسألة الفلسطينية في فكر الملك عبد العزيز تعني وجود القدس الشريف ومسجده الأقصى (ثالث الحرمين الشريفين). وفي إطار الأحداث الفلسطينية آنذاك كان التركيز الإسلامي على المواجهة العربية اليهودية المتصاعدة وهو يعني ارتباطاً وثيقاً بين المقدسات الإسلامية في الحجاز من جهة، وفي القدس الشريف من جهة أخرى.

كل تلك المتغيرات كان يمكن أن تساعد على توسيع نطاق التعامل السعودي السوفيتي، أو تحديده في نفس الوقت. وكان التوسيع المحتمل نابعاً من اهتمام

الطرفين السوفيتي والسعودي (على الرغم من اختلاف مصادره) بتقليص ميدان الهيمنة الإقليمية البريطانية. فإن إمكان هذا التقليص كان بالطبع سيضفي على عملية نشوء الأشكال الجديدة لمنظومة العلاقات الدولية الشرق أوسطية مزيداً من الثبات والاستقرار. (الشيخ، 2006، ص45)

إلا أن رسالة الدولة السوفيتية كانت قائمة على فكرة "التضامن الأممي للكادحين" (التي تمثل في فكر الملك "الكفر والإلحاد")، وأصبحت الرسالة السعودية ذات صبغة دينية مرفوضة من جانب الاتحاد السوفيتي، إلا أن الدين (و"الكفر" من الجهة الأخرى) لم يحولا دون التقارب بين الاتحاد السوفيتي، والسعودية في عشرينات وثلاثينات القرن العشرين.(جبر،2007)

أن حالة العلاقات بين الدولتين من عهد ما قبل الحرب العالمية الثانية إلى فترة الستينات تعني على الأرجح أن البلدين ينظران بمنظار واحد إلى سبل نشوء المنظومة الإقليمية العربية والشرق أوسطية. وكانت السعودية تطمح إلى الحفاظ على مكانتها كدولة إقليمية رائدة، اعتماداً على ما لديها أو ما كسبته من ارتباطات مع الدول الكبرى التي تمتلك مواقع متينة داخل المنطقة (أو التي اجتازت كالولايات المتحدة شوطاً بعيداً لتمتلك مثل تلك المواقع). (الرشيدي، 2001، ص53)

في تشرين الثاني 1954م طرحت وزارة الخارجية السوفيتية سابقاً البحث مسألة "تطبيع العلاقات بين الاتحاد السوفيتي، والمملكة العربية السعودية ". وبينت الوزارة اقتراحها "بأن حكومتي مصر و المملكة العربية السعودية تعارضان انضمام الأقطار العربية المباشر إلى الحلف التركي الباكستاني وتطرحان فكرة تشكيل منظمة عسكرية عربية في إطار جامعة الدول العربية، وعلى أساس معاهدة الأمن الجماعي للأقطار العربية، فتشتري هذه الأقطار السلاح بصفقات تجارية عادية (وقد طرحت مصر اقتراحاً بشأن مشتريات محتملة من السلاح السوفيتي).وفي الوقت ذاته أشارت هذه المذكرة إلى "أن جامعة الدول العربية تتولى ما يشبه الحاجز على طريق جر الأقطار العربية إلى الحلف العسكري". وعلى هذا الأساس يرى واضعو المذكرة ضرورة "الإيعاز إلى ممثلينا الدبلوماسيين في الأقطار العربية، وفي الأمم المتحدة بألا يتملصوا من مقابلة زعماء الجامعة العربية، وأن يدرسوا أوضاعها بإمعان،

ويتقدموا بالاقتراحات المناسبة لاستخدام هذه المنظمة لمصلحتنا".(الرشيدي، 2001، ص 55)

وظهرت مصلحة لموسكو في المملكة وسياستها الإقليمية، وإلى ذلك تجلـت تأثيرات الفكرة السوفيتية التي صاغها منظرو الحزب الحاكم حول عدم جواز تجاهل "القدرات المناوئة للإمبريالية لدى الأقطار المستعمرة والتابعة سابقاً" التـي اسـتمر ممثلو الطبقات التقليدية في حكمها. وكانت المملكة بالطبع بعيدة عن إمكان توصيفها في موسكو بأنها بلد على طريق التطور اللارأسمالي. إلا أن تصرفات موسكو تـدل على أنها ما كانت تريد للمملكة العربية السعودية أن تغـدو مركـز جـذب للعـالم العربي، أو ما وصفته إحدى الوثائق السوفيتية بلداً "يحتفظ بالمكانـة القياديـة بـين الأقطار العربية"، فإن موسكو كانت تريد لمصر أن تتولى هذه المهمـة، وسـاعدت السياسة السوفيتية على ذلك، وتولت مصر في عهد عبد الناصر مهمة الوساطة فـي المحادثات حول إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتي، وبعض الأقطـار العربية، وكان المملكة العربية السعودية من تلك الأقطار. (أكيرمـان، 2003، ص 32)

وفي أيلول 1955 نقل جمال عبد الناصر إلى السفير السوفيتي فـي القـاهرة وجهة نظر الملك سعود بن عبد العزيز في إمكانية استئناف العلاقـات الدبلوماسـية السعودية السوفيتية. ويستفاد من أقواله أن الملك لا يعترض – من حيث المبدأ- على تبادل التمثيل الدبلوماسي وأن "جمال عبد الناصر يؤيده بالكامل في هذه المسألة". إلا أن الرئيس المصري السابق أكد "أن وجود نفوذ أمريكي قوي في المملكـة العربيـة السعودية"، وكذلك "خشية الملك سعود من أن تساعد الممثلية الدبلوماسية الـسوفيتية على تحريك النشاط الشيوعي في المملكة العربية السعودية ولا يشجعان على اتخـاذ قرار بإجراء هذا التبادل". وقال السفير السوفيتي في حديثه مع عبـد الناصـر" إن مخاوف الملك سعود لا أساس لها، ذلك لأن تبادل التمثيل الدبلوماسي مـع الاتحـاد السوفيتي سيكون نافعاً للسعودية في المقام الأول" ويستنتج مـن نـص الوثيقـة "أن الرئيس المصر السابق عبد الناصر مع هذا الرأي، وإنه سيناشد الملك مرة أخـرى،

وينصحه بإجراء التبادل الدبلوماسي بين السعودية والاتحاد السوفيتي. (جبر، 2007، ص25)

أيدت المملكة العربية السعودية منذ عام 1979م حركة الجهاد الأفغاني ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان، معتبرة أن هذا الغزو يستهدف الماهية الحضارية للشعب الأفغاني بصفته أحد الشعوب الإسلامية. وإلى ذلك كانت السعودية ترى أن احتلال القوات السوفيتية أراضي أفغانستان يشكل خطراً على الإسلام والمسلمين، ويعني ذلك بالنسبة للسعودية أن المسألة الأفغانية لا يمكن أن تكون مادة للمتاجرة والمساومات، فهي فاجعة لجميع المسلمين، وكانت السعودية ترى أن الوضع الفلسطيني يتكرر في أفغانستان، علماً بأن غزو أفغانستان يهدف إلى التوغل في أعماق العالم الإسلامي. (الرشيدي، 2001، ص59).

تضاءلت احتمالات تطور العلاقات السعودية الروسية بسبب الغزو السوفيتي لأفغانستان (1979)، الأمر الذي جعل من السعودية عدواً للاتحاد السوفيتي سابقاً لأنه ساعد المجاهدين بتوفير المال وتأمين المتطوعين للقتال. وهكذا استمرت حال التوتر والخصام حتى شتاء 1988، أي عندما زار وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل الاتحاد السوفييتي -ادوارد شيفارنادزه، في موسكو من أجل البحث عن حل يوقف الاقتتال. وتوجه على اثر ذلك اللقاء، إلى المملكة مدير قسم الشرق الأوسط في الخارجية السوفياتية فلاديمير بولياكوف، واعتبرت زيارته حدثاً غير مسبوق لكونه أول شخصية سوفياتية تدخل المملكة منذ نصف قرن. (الرشيدي، 2001، ص33)

وتأكيداً لمكانتها كحلقة مركزية وقلب للعالم الإسلامي فتحت المملكة أبوابها على مصاريعها أمام ممثلي فصائل المقاومة الإسلامية الأفغانية، وأعلنت عن دعمها للأفغان، مؤكدة أن الجهاد أفضل السبل لاستعادة حقوق الشعب الأفغاني، والحفاظ على هويته ووحدته. وبعد أن نظمت السعودية حملة التضامن تمكنت من بداية الثمانينات أن تقدم للمجاهدين الأفغان أكثر من (800) مليون ريال من تبرعات الشعب فقط، وخصص رسمياً أكثر من (200) مليون ريال لإغاثة اللاجئين الأفغان من خلال ممثليه الهلال الأحمر السعودي بمدينة بيشاور الباكستانية. ولم تقف

المملكة في وجه إرسال المتطوعين السعوديين إلى أفغانستان. وحسب أحد الباحثين الروس بلغ عددهم ما لا يقل عن خمسة آلاف شخص.(بن صقر، 2007، ص 33)

كانت المملكة العربية السعودية في السبعينات والثمانينات تقدر موقف الاتحاد السوفيتي حيال بعض قضايا العالم العربي إلا أنها كانت دوماً تؤكد تناقض سياسته الإقليمية، وتشدد بالدرجة الأولى على تدخله في الشؤون الداخلية لأفغانستان. (معمر، 2000، ص61)

أما التقييم السوفيتي للأسباب التي أزالت في النصف الثاني من الثمانينات العوائق أمام طريق استئناف العلاقات مع السعودية فهو يبدو على نحو آخر. فقد كانت أفغانستان حاضرة في هذا التفكير، ولكنها لم تكن السبب الرئيسي. وفي معرض الحديث عن بدء التوجه نحو إقامة العلاقات مع أقطار الخليج (بما في ذلك استئناف العلاقات مع المملكة العربية السعودية) قال كارين روتينس في مذكراته: "إن أسباب ذلك التوجه هي "التبادلات في العلاقات مع الولايات المتحدة/ حينما أفسحت إستراتيجية التوتر الخاضع للتحكم المجال لإستراتيجية السلام". وساعد ذلك على وضع خط براجماتي للسلوك السوفيتي في الشرق الأوسط لا يقتصر على دول "الديمقراطية الثورية"، والأحزاب والحركات الوطنية القومية والشيوعية. فما حدث على حد تعبير بروتينس، هو مجموعة واسعة من المبادرات التي انطوت على فكرة الاتصالات الواقعية المتعددة الأطراف مع جميع دول الشرق الأوسط والعالم العربي مع إسرائيل التي ينبغي "توسيع الاتصالات معها إلى أقصى حد على الصعيد الاجتماعي" ومع "الأنظمة العربية على مختلف أطيافها من اليسارية، والقومية الديمقراطية، حتى الملكية، بما فيها المملكة العربية السعودية".(أحمد، 2003، ص 12)

إن الفوارق في مواقف الطرفين مفهومة ومبررة في الحقيقة. فإذا كانت السعودية قوة "صغرى" أو ما يهمها هو الاستقرار الإقليمي والأمن، فإن الاتحاد السوفيتي دولة كبرى تطرح المسألة بالطبع على نطاق عالمي في إطار العلاقات بين قطبي المنظومة الثنائية القطبية للعلاقات الدولية التي تحدد أبعاد وإمكانيات عمله الإقليمي. إلا أن القيادة السعودية في تلك الفترة كانت تتطلع هي الأخرى إلى

اتصالات مع الاتحاد السوفيتي. والأسباب التي دفعتها إلى ذلك (وأرغمتها في الوقت ذاته على تجاوز "عقدة أفغانستان" لاعتبارات براجماتية) هي في المقام الأول غياب التسوية في النزاع العربي الإسرائيلي الذي ظل في حال ركود حتى بعد المبادرة التي طرحها ولي العهد السعودي الأمير فهد حينذاك في قمة جامعة الدول العربية في فاس العام 1982م. وباتت المملكة العربية السعودية ترى أن الاعتماد على الولايات المتحدة وحدها في البحث عن حل لهذا النزاع غير كاف، وكان من دوافع التقارب بين الاتحاد السوفيتي، والسعودية وحدة المواقف في شأن ضرورة وقف الحرب العراقية الإيرانية بأسرع ما يمكن (ثمانينات القرن العشرين). (معمر، 2000، ص 26)

3-3 مرحلة التعاون والتقارب (1991-2009م)

تزامنت هذه المرحلة مع حرب الخليج الثانية عام 1991م لكن العلاقات لم تتطور بمستوى التوقعات ، وإن كانت قد شهدت زيارات متبادلة على مستوى رفيع، وهذا التحول بسبب تخلي روسيا الاتحادية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عن عدائها للأديان، وبدئها بإعادة النظر في العلاقات مع أمريكا والغرب وبذلك انتهى التصنيف السابق للدول العربية إلى تقدمية ورجعية ومن ثم تطلع مسلمو روسيا إلى السعودية أرض الحرمين، لكن اندلاع حرب الشيشان الأولى في (1995-1996م) والثانية (1999-2000م) قد أدى إلى تراجع هذه العلاقات. (الشيخ، 2006، ص32)

إن التغيرات التي حصلت في الاتحاد السوفيتي بعد تولي ميخائيل غورباتشوف السلطة في عام 1985 ورغبته في إقامة علاقات قوية مع الخليج العربي، قد أدت إلى تعزيز السياسة السوفيتية الخارجية نحو الخليج العربي ومحاولة غورباتشوف إعادة العلاقة مع المملكة العربية السعودية، كما أن السعودية من جانبها أبدت رغبة في التعاون مع الاتحاد السوفيتي. وعلى الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية، قامت وفود رسمية سعودية بزيارة موسكو ابتدأت بزيارة وزير الخارجية السعودي عام 1982 ضمن اللجنة السباعية المشكلة من الجامعة العربية لزيارة الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن لشرح مبادرة فاس للسلام في الشرق

الأوسط، وأكد الفيصل وجود مشاورات واتصالات ورسائل مع الاتحاد السوفيتي، وزيارة الأمير فيصل بن فهد أثناء الدورة الاولمبية التي أقيمت في موسكو، وزيارة هشام ناظر وزير النفط السعودي في آذار 1987 والذي استقبل استقبالاً رسمياً، واجتمع بكل من رئيس الوزراء السوفيتي ووزير الخارجية مما يعد مؤشراً على تحسن العلاقة السعودية السوفيتية، ووصف الكسندر بيلونوغوف ممثل الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة زيارة ناظر بأنها كانت ناجحة ومن جهة أخرى سمحت الحكومة السعودية للخطوط الجوية السوفيتية باستخدام أجوائها وهي في طريقها إلى إثيوبيا. كما استضافت السعودية لقاء تم بين نائب وزير الخارجية السوفيتي والمجاهدين الأفغان في عام 1988، كل هذه التطورات بين الدولتين في 17 أيلول 1990. (الشيخ، 2006، ص92)

وقد كان لموقف الاتحاد السوفيتي سابقاً من أحداث الخليج وتأييدها قرار مجلس الأمن رقم (662) الذي اعتبر ضم الكويت إلى العراق، عملاً باطلاً وغير شرعياً، أثر مباشر في التمهيد لحدوث تغيير في موقف دول الخليج العربي من العلاقة مع الاتحاد السوفيتي سابقاً حيث وصل صيف 1990 إلى موسكو الأمير بندر بن سلطان، وهو يحمل تفويضاً رسمياً من المملكة العربية السعودية تعرب فيه عن استعدادها لإقامة علاقات دبلوماسية كاملة ورفيعة المستوى مع الاتحاد السوفيتي.(أحمد، 2003، ص 15)

بعد ستة شهور قام وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل بترجمة تلك الاستعدادات إلى تطبيع تام للعلاقات الدبلوماسية، وقام وزير العلاقات الاقتصادية الخارجية في الاتحاد السوفيتي قسطنطين كاتوشيف بزيارة إلى الرياض لينقل شكر دولته، ويطالب بضرورة تقديم المساعدة إلى الاتحاد الروسي. وأرسل الملك فهد وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل ووزير المالية السعودي للاجتماع إلى الرئيس غورباتشوف، وإبلاغه عن منح بلاده قرضاً مالياً غير مشروط مقداره أربعة بلايين دولار. وكانت تلك المنحة بمثابة المبادرة الاقتصادية التي فتحت آفاق التعاون في مختلف المجالات. (الشيخ، 2006، ص91)

عند انهيار الاتحاد السوفيتي في 26 كـانون أول 1991، وتـولي بـوريس يلتسين رئاسة روسيا الاتحادية، لم تلجأ روسيا إلى التنوع في علاقاتهـا الخارجيـة تجاه دول الخليج العربي، فبقيت علاقة روسيا مع دول مجلس التعـاون الخليجـي ضعيفة خلال السنوات الأولى من تسعينيات القرن الماضي. إلا أن التحـول الـذي حصل في السياسة الخارجية الروسية تمثل في عام 1996 عنـدما تـولى يفجينـي بريماكوف وزارة الخارجية الروسية، وهو رجل معروف بميوله العربيـة وإيمانـه الراسخ بأهمية المنطقة العربية بالنسبة لروسيا، فعمل على توسيع علاقة روسيا مـع دول الخليج العربي، كما أن انتخاب فلاديمير بوتين في آذار 2000 رئيساً لروسـيا ساعد على إقامة علاقات وروابط قوية مع دول الخليج العربي.

من خلال ما تقدم نجد أن العلاقة التي كانت تربط المملكة العربية الـسعودية بالاتحاد السوفيتي كانت علاقة سطحية لم ترتق إلى مستوى التمثيل الدبلوماسي فـي معظم أوقاتها، على الرغم من الثقل الكبير الذي يشكله الاتحاد السوفيتي السابق فـي الموازين الدولية، والذي تشكله المملكة العربية السعودية في المنطقة العربية.

كانت لأحداث الحادي عشر من أيلول من القوة والتأثير الكبير على الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث انعكست على علاقاتها الخارجية مع العديد من دول العالم والتي بقيت لفترة طويلة صديقة وحليفة لها، إذ أن قوة الحدث لـم تعـط الولايـات المتحدة المجال للتفكير وإصدار الأحكام متسرعة بدون التأكد من مدى علاقة بعض الدول بما جرى، والحكم عليها من خلال مواقفها مما جرى، ومن جانب آخر أثرت هذه الأحداث على طريقة تعامل الولايات المتحدة مع دول كانت قريبة منهـا إلـى درجة كبيرة، ومن هذه الدول المملكة العربية السعودية. على الرغم من عمق العلاقة التي تربط الولايات المتحدة الأمريكية بالمملكة العربية السعودية، فهنالـك مـصالح مشتركة بين الطرفين تمتد إلى عدة عقود، إلا انه بعد ما جرى في 11 أيلول 1991 في الولايات المتحدة الأمريكية قد أدى إلى فتور في العلاقة بين الطرفين بعد اتهـام الولايات المتحدة السعودية بدعم الإرهاب، وكان مما أساء إلى العلاقـة أيـضاً أن اغلب منفذي العمليات كانوا يحملون الجنسية السعودية. المملكة العربية السعودية من جانبها بدأت تعيد النظر في نمط علاقاتها الدولية وإحداث توازن يضمن لها تحقيـق

مصالحها، وقد اتفقت هذه الرغبة مع توجه الاتحاد الروسي نحو تعزيز وجودها في منطقة الخليج العربي. (الشيخ، 2006، ص100)

تعتبر نهاية سنة 2002م، وبداية سنة 2003م مرحلة مهمة في تطور العلاقات السعودية الروسية، سواء السياسية أو الاقتصادية وقد سار هذا التطور متدرجاً بالطبع، ولم يشهد استباقاً وطفرة إلى الأمام، كونه كان مشدوداً بحالة "التعامل والخصام" السابقة. ومن أهم المتغيرات التي ساعدت على التقارب بين البلدين طبيعة القرار السياسي "للطبقة الحاكمة" في كلتا الدولتين. وإلى ذلك فإن عملية صنع هذا القرار اعتمد، ليس فقط على مجريات تطور الموقف الدولي والإقليمي (الأزمة العراقية والشرق الأوسط) بل وبالدرجة الأولى على مدى الدور الفاعل والمنطلق من المصالح الوطنية الذي سعى كل من الطرفين إلى أدائها خلال اقترابهما الحثيث من تحقيق أهداف الاستقرار العالمي، والتطور الدائب للمجتمع الدولي. (جبر، 2007)

وفي سياق نشوء الأشكال الجديدة للتعاون السعودي الروسي(والاتصالات الاقتصادية في المقام الأول) فقد ساهم أيضاً بالتدريج لاعبون على الساحة السياسية الداخلية في روسيا، وفي المملكة لهم مصلحة في مواصلة تعميق هذه العملية.(بن صقر، 2007، ص 34)

في أواخر أبريل 2003م قام الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي عبد الواحد بلقزيز بزيارة موسكو. وفي معرض الحديث عن حصيلة المحادثات معه قال وزير الخارجية الروسي إيغور إيفانوف: "أطلعنا الأمين العام على تطورات الوضع في شمال القوقاز، وفي الشيشان وعلى الجهود التي تبذلها القيادة الروسية لتأمين استقرار الوضع في هذه المنطقة... وبحثنا إمكان دعم منظمة المؤتمر الإسلامي لجهودنا في استئناف الحياة الطبيعية في الشيشان: الاقتصاد، والمشاريع الصحية، والتعليم. ولمسنا في هذه المسألة تفهما من جانب ضيفنا". آنذاك استحدث في الخارجية الروسية منصب نائب الوزير للعلاقات مع المنظمات الإسلامية الدولية. وقبل ذلك بأيام أعلن وزير الخارجية الروسي قائلاً: "نحن مهتمون بأن تتطور علاقاتنا مع المملكة العربية السعودية بروح المنفعة والاحترام المتبادل". ويعتقد

إيفانوف أن هذه العلاقات يمكن أن تكون واسعة وذات آفاق طيبة. وأعلن إيفانوف نبأ قرب زيارة ولي العهد السعودي-آنذاك- الأمير عبد ا بن عبد العزيز إلى موسكو وقال: "أنا على يقين بأننا سنتمكن من خلال الحوار الصريح البناء أن نجد حلا للمشاكل التي قد تظهر"(الجزيرة، 2003/8/17).

وفي 13 مايو 2003م تحدث الرئيس الروسي عن العملية الإرهابية التي جرت في العاصمة السعودية، مؤكداً الشبه بين "الأحداث الفاجعة في الشيشان، وفي المملكة العربية السعودية"، وتشابه "عواقبها". وفي إطار هذه الإشارة من ممثلي المؤسسة السياسية الروسية في مقابلاتهم مع الصحف والفضائيات العربية أخذ البعض يتكلمون عن "خلط مفاهيم مكافحة الإرهاب من قبل قوى معينة في الغرب". (علي،2007)

إن هذا الخلط في المفاهيم يهدف من جهة إلى خلق مشاكل بين المسلمين، وغير المسلمين في روسيا التي يقيم فيها ملايين المسلمين حيث كان الموقف من الإسلام ومسالماً دوماً، ومن جهة أخرى بين روسيا والأقطار العربية التي هي إسلامية أساساً. وحتى لو كانت في البلاد العربية جماعات لها مصلحة في تقديم المعونة للانفصاليين، فإن موقف السلطات الرسمية في هذه الدول لا يتوافق بأي حال مع تأييد الإرهابيين. وكان هذا الانعطاف أمراً طبيعياً فقد ظهر ميدان فعلي للتعامل السياسي بين الجانبين. وهو، من جهة، التصعيد في المجابهة الفلسطينية الإسرائيلية، ومن جهة أخرى تأزم الموقف حول العراق. وفي 18 شباط 2003م زار موسكو وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل، ورداً على الأسئلة عن العراق أشار إلى أن جميع المسائل المتعلقة بهذا البلد (كانت تدور آنذاك حول عودة المفتشين الدوليين) يجب أن تسوى وتحل دبلوماسياً على أساس التسوية السلمية للأزمة من قبل مجلس الأمن الدولي، وبواسطة المبادرات الإقليمية، والدولية.(أحمد، 2003)

وكان هذا الموقف متوافقاً مع الموقف الروسي، حتى إن وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل وصف روسيا بالطرف الأساسي والهام في إطار الجهود الدبلوماسية المبذولة لحل الأزمة العراقية بالطرق الدبلوماسية، وأعرب عن ثقته بأن

روسيا ستواصل جهودها في اتجاه الحيلولة دون وقوع الحرب في المنطقة وحل الأزمة سلمياً.

وبقدر متساو حقق الجانبان السعودي والروسي تفاهما فيما يخص مسائل الصراع العربي الإسرائيلي، خاصة المواجهة الفلسطينية الإسرائيلية. وفي حديث بين سعود الفيصل وإيغور إيفانوف أعلن وزير الخارجية الروسي لنظيره السعودي أن القيادة الروسية تقدر إيجابياً المبادرة التي طرحها ولي العهد الأمير –حينذاك- عبد ا بن عبد العزيز في القمة العربية ببيروت في 27 آذار 2002م وكذلك الأفكار التي عرضها الأمير عبدا –حينذاك-. وأكد إيفانوف أن هذه الأفكار تصب "في المبادئ التي يقوم عليها مؤتمر مدريد، خاصة "الأرض مقابل السلام"، وقراري مجلس الأمن الدولي (242 و 338) وينتظر أن تساعد على تجاوز المواجهة التي طال أمدها في الشرق الأوسط. وأبدى سعود الفيصل بدوره تقويماً رفيعاً لدور وأعمال روسيا، بوصفها أحد راعيي العملية السلمية في الشرق الأوسط. وأكد الطرفان أنهما سينسقان خطواتهما في المسائل المتعلقة بالتسوية العربية الإسرائيلية. واتفق وزيرا خارجية البلدين على الاستمرار في تبادل الآراء بخصوص المبادرة السلمية السعودية تجاوبا مع تطور الموقف في المنطقة.(بن صقر،2007)

وفي أكتوبر 2002م عقدت في موسكو الجلسة الأولى للجنة السعودية الروسية الحكومية المشتركة للتعاون التجاري، والاقتصادي، والعلمي، والتقني، والثقافي التي تأسست منذ العام 1994م تنفيذاً لأحد أحكام الاتفاقية العامة السعودية الروسية التي وقعت آنذاك. كما عقدت في موسكو أول جلسة لمنتدى الأعمال السعودي الروسي، وشارك فيها رؤساء الشركات والبنوك، والصناديق والغرف التجارية والصناعية من كلا البلدين. (علو، 2007)

وكان الجانبان السعودي والروسي يعتقدان في المقام الأول بضرورة استكمال وتحسين القاعدة الحقوقية التعاقدية لتعاونهما الاقتصادي والتجاري والعلمي والتقني. وكان المطلوب بهذا الخصوص هو صياغة مسودات تشجيع الاستثمارات والتعاون في هذا الميدان، وكذلك تفادي الضرائب المزدوجة. ويعتقد الطرفان أن رجال الأعمال في كلا البلدين يجب أن ينتقلوا ويرتحلوا بين الدولتين وفقاً لإجراءات

مبسطة فيما يخص تأشيرة الدخول. وكان كل طرف بحاجة للإطلاع على الإمكانات الاقتصادية والتقنية للطرف الآخر بشكل أفضل. وهذا هو سبب تأسيس مركز المعارض الإعلامي للبضائع والتقنيات الروسية في المملكة العربية السعودية، وكذلك تشجيع إقامة معارض البضائع السعودية، والروسية في روسيا والمملكة، وعقد الندوات واللقاءات بين رجال الأعمال في الدولتين، وتنشيط تبادل وفود القطاعين العام والخاص لدراسة حالة الأسواق والتسويق، ويقدم نص الوثائق الموقعة الدليل على أن الجهتين الرياديتين في تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلدين هما مجالس الغرف التجارية والصناعية في المملكة، والغرفة التجارية الصناعية في روسيا. (علو، 2007)

وقد أكد البلدان بالطبع طموحهما إلى التعاون في الميدان الاستثماري، وتبادل المعلومات التقنية، وتسليم التقنيات. ومن جهته شدد الجانب الروسي المشارك في الجلسة على أن لروسيا مصلحة في اجتذاب الاستثمارات السعودية لتنمية موارد النفط، والغاز في سيبيريا الغربية، وفي إعمار منشآت صناعة المكائن المستخدمة في صناعة النفط، والغاز الروسية وتجديدها، بهدف تسويق منتجاتها في السوق الداخلية لكلتا الدولتين. وفضلاً عن ذلك أكد المسئولين الروس على أهمية بناء منشآت إنتاجية روسية سعودية مشتركة لأعمال البحث والتنقيب في بلدان ثالثة باستخدام معدات وخبراء من روسيا، وبتمويل من السعودية وبدورهم وجه السعوديون المشاركون في اجتماع الدعوة إلى الشركات الروسية لتساهم في مشاريع إنتاجية مشتركة في أراضي المملكة في ميادين الصناعة البتر وكيماوية واستخراج المعادن. واتفق الطرفان من حيث المبدأ على ما يخص إجراء مشاورات ثنائية دائمة، وكذلك مشاورات بين أوبك وروسيا بهدف الحفاظ على استقرار أسعار النفط العالمية. (كاراتنسكي، 2007)

وأعرب الجانب الروسي عن استعداده لتقديم مساعدات تقنية لشركائه السعوديين في دراسة طبقات الأرض الزلزالية في المملكة، ووضع مخططات تقنية لحقول النفط، والغاز، وإصلاح الآبار النفطية القائمة، واستخدام الطرق التقنية المتقدمة لتصفية وتكرير النفط، والغاز. وشملت المقترحات الروسية في الوقت ذاته

مد خطوط التيار الكهربائي العالي، وبطاريات الرياح، والبطاريات الشمـسية فـي المملكة، وكذلك أجهزة تحليت مياه البحر والمياه الجوفية المالحـة، وأكـد الجانـب السعودي رغبته في الإطلاع على التقنيات الروسية لاستخراج الفوسفات، وفلـزات الحديد والمعادن غير الحديدة، وكذلك بناء منشآت تعـدينها. كمـا تنـاول التعـاون العلمي، والتقني، والاقتصادي، والتجاري إمكان تأسـيس بنـك سـعودي روسـي للاستثمار في موسكو. (علو، 2007)

ولم تقتصر الاتفاقات التي تم التوصل إليها على هذه الميادين مـن ميـادين التعاون المحتمل، فقد نصت وثائق الجلسة على تطوير التعاون في المجال الزراعي (المشاركة الروسية في مشاريع سعودية للبحث عن المياه الارتوازية، بناء الصوامع ومستودعات الحبوب، وتطوير المشاتل الاصـطناعية، وتربيـة أصـناف الـسمك الثمينة). وأعرب الجانب الروسي عن استعداده للمشاركة في مد السكك الحديدية في المملكة، وتقديم المنح الدراسية في المعاهد العليا في روسيا، وتعميق التعاون الثنائي على هذا الأساس في ميدان التعليم العالي والتقني الصناعي. كما أعرب المشاركون في الجلسة عن اهتمامهم بتطوير السياحة بين البلدين، وكانوا مـستعدين لمواصـلة الاتصالات في ميدان تعاوني بات تقليديا وهو البحوث الفضائية، وفي ميدان تبـادل الوفود الشبابية والرياضية، وفي مجال الصحة العامة. وكـان الجانـب الـسعودي متفائلاً كثيراً في تقويم نتائج الجلسة. (بن صقر، 2007، ص 40)

واستمرت الدولتان بالسير في طريق تطوير العلاقات ففـي كـانون الثـاني 2003 زار وزير الطاقة الروسي يوسوفوف المملكة العربية السعودية، وزار روسيا وزير النفط والثورة المعدنية السعودي النعيمي في آذار من العام نفـسه، وفـي آب 2003 عقدت في موسكو ندوة رجال الأعمال التي نظمتها الغرفة التجارية الصناعية الروسية، ومجلس الغرف السعودية. (كاراتنسكي، 2007)

الفصل الرابع

محددات السياسة الخارجية السعودية تجاه الاتحاد الروسي

1.4 محددات السياسة الخارجية السعودية تجاه الاتحاد الروسي

لعبت بعض المتغيرات المرتبطة بالبيئة الدولية والإقليمية دوراً مؤثراً في العلاقات السعودية الروسية يحول دون التقارب السعودي الروسي وهي: النفط، الإرهاب، الأيديولوجيات، والعلاقات الأمريكية السعودية، ولكن أحداث 11أيلول 2001 وما تولد عنها من توجيه الحليف الاستراتيجي الأمريكي للسعودية أصابع الاتهام للرياض في تغاضيها عن أعضاء القاعدة المنفذين للحادث دفعت، لتدخل العلاقات السعودية - الأمريكية مرحلة المد والجزر والتوتر وفي نفس الوقت إلى تحسن الأجواء بين السعودية وروسيا وذلك بعد أن أدركت المملكة العربية السعودية خطأ الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية وإغفال باقي دول المؤثرة في مجلس الأمن الدولي، ولهذا بدأت بانتهاج سياسة التوازن في علاقاتها الخارجية لاسيما بعد زوال الأسباب التي أجبرتها على التخوف من التقارب مع كثير من الدول المؤثرة في القرار الدولي، ومنها روسيا.

سنحاول في هذا الفصل أن نتناول محددات السياسة الخارجية السعودية نحو تطوير علاقاتها مع الاتحاد الروسي في المرحلة التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفييتي عام 1990 وذلك من خلال الآتي:

4-1-1 النفط:

تعتبر السعودية وروسيا من أكبر الدول المنتجة للنفط، إذ بلغ إنتاج روسيا من النفط في العام 2008م ولأول مرة منذ 22 (7.28) مليون برميل في اليوم وشكل ما مجموعه (25-30%) تقريباً من العائدات القومية للاتحاد الروسي.

أما إنتاج السعودية من النفط فقد أحتل الصدارة عالمياً إذ من المتوقع أن يصل إنتاجها اليومي إلى أكثر من (10) مليون برميل وإنتاجها الحالي (8.256) مليون برميل يومياً ويمثل (70-80%) من واردات خزينتها العامة ويصل احتياطها

العام من النفط الخام 261مليار برميل بنسبة (25%) من الاحتياط العالمي. وعليـه فقد كان النفط محوراً خلافياً في طريق تنمية العلاقات، فروسيا بلد لا يحتـاج إلـى النفط والسعودية أيضاً ولذلك كان من الطبيعي التنافس لا التعاون، وباختفـاء نفـط العراق خرجت روسيا إلى الساحة الأمريكية وبدأ الحديث عن إغراق نفطي روسي لأمريكا مقابل إبعاد السعودية عن الساحة الأمريكية لضلوعها فـي أحـداث 2001. (الإمام، 2008)

ولكن بعد أحداث أيلول2001 بدأ النظام العـالمي الجديـد بالتـشكل مليئـاً بالتناقضات، وبدأت تظهر على الساحة الدولية تحالفات جديدة للحـد مـن الهيمنـة الأمريكية، وأخذت بعض الدول تعيد التفكير بنمط علاقاتها السابق ومنهـا المملكـة العربية السعودية، حيث بدأت تعمل على أن يكون النفط أحد مرتكزات التعاون بين العملاقين النفطيين السعودية وروسيا من أجل ضمان اسـتقرار البلـدين ومـصلحة العالم، خصوصاً وأن الشركات الروسية باتت تطمح مشاركة نظيراتها الأمريكية في تنفيذ مشاريع النفط والغاز في السعودية، وهي مهتمة بمشاركة الشركات الحكوميـة الروسية المساهمة غاز بروم في تنفيذ المشاريع التي وعدت الرياض بطرحها، وهو ما تم الاتفاق عليه مع الملك عبدا ، أضف لذلك الاشتراك مع الشركات الـسعودية في تنفيذ مشاريع في بلدان أخرى كبلدان الاتحاد السوفيتي سابقاً وفي أوروبا الشرقية والجنوبية وغيـرها، خصوصاً في مجال تكرير النفط الخام وبيع منتجاتـه، وهـذا التطور أعطى دول الخليج الأخرى الجرأة للاستثمار في روسيا خصوصاً بعد زوال خطر الشيوعية الذي كان لفترة من الزمن سبب بقائها تحت المظلة الأمريكية، ولهذا فإن روسيا والسعودية بما لهما من ثقل سياسي واقتصادي إقليمياً ودوليـا يتوجـب عليهما تعزيز علاقاتهما.

تدرك القيادة السياسية للدول النفطية أن تلك الثروات يمكن أن تستخدم لتأمين ازدهار مجتمعاتها والحفاظ على أمنها واستقلالها، وإحراز مكانة مهمة في المجتمـع الدولي. كما أن المملكة العربية السعودية تواجه ضرورة وضع إستراتيجية للتعامـل مع الجمهوريات الإسلامية. ويؤكد أن هذه الإستراتيجية يجب أن تقوم على المعرفة الدقيقة والواضحة لإمكاناتها وحاجاتها ولجميع تفاصيل اللعبة الدولية الدائرة حولها.

وفضلاً عن ذلك أيضاً فإن العلاقات مع المملكة العربيـة الـسعودية مهمـة بالنسبة لرجال الأعمال الروس الذين تعبر عن مصالحهم الغرفة التجارية الصناعية في روسيا الاتحادية التي وقع رئيسها يفغيني بريماكوف وفي عـام 2003 إحـدى الوثائق المنبثقة عن زيارة الأمير عبد ا –حينذاك- إلى موسكو، وهـي مـذكرة التعاون بين الغرفة التجارية الصناعية في روسـيا الاتحاديـة، ومجلـس الغـرف التجارية الصناعية في المملكة العربية السعودية، وتنص هذه الوثيقة علـى تطـوير الاتصالات بين المنشآت والمؤسسات والمنظمات في روسـيا، والمملكـة العربيـة السعودية وتشجيع العلاقات الاقتصادية والعلمية والتقنية القائمة، ومـن مـضامينها الهامة "تطوير التعاون الإنتاجي فـي ميـدان نـشاط رجـال الأعمـال الـصغار والمتوسطين".

وأن بإمكان البلدين التنسيق المشترك من أجل الضغط علـى سـوق الـنفط العالمية وذلك في سبيل استقرار سعر النفط وضـمان الإيفـاء بمتطلبـات الـدول المستهلكة باحتياجاتها والحفاظ على استقرار السوق وأسعار البترول ضـمن إطـار منظمة (أوبك)، وبما يضمن تحقيق عوائد اقتصادية للدول المنتجة.

4-1-2 الإرهاب:

يأتي الإرهاب في المرتبة الثانية بعد النفط كأحد محددات العلاقات السعودية الروسية، فقد كانت مشكلة الشيشان تشكل عائقاً أمام تنمية العلاقات بين البلدين وبعد الاختراق الذي حققه الرئيس الروسـي الـسابق غورباتـشوف بإعـادة العلاقـات الدبلوماسية بين البلدين وأكمله يلتسن بإرسال رئيس وزراءه تـشيرنوميردين إلـى السعودية وتوقيع اتفاقية أطر التعاون في 1994، لاسيما وأن الإرهـاب قـد طـال الاثنين وأصبحت كل من الرياض وموسكو مسرحاً لعمليات تفجير طالت المـدنيين الآمنين وأدانها الجميع، واستمرار الرئيس الروسي السابق بوتين و الرئيس الحـالي ديمتريف على نفس النهج.

وقد مثلت أحداث 11سبتمبر 1991 عاملاً حاسماً في توجه الـسعودية نحـو تعزيز علاقاتها مع روسيا خصوصاً وأن السعودية وجدت نفسها بعد الحادث أمـام

اتهامات قوية من قبل واشنطن بالتغاضي عن تنظيم القاعدة الذي نفذ الهجوم والـذي يقوده السعودي أسامة بن لادن، ومن المؤكد أن سقوط نظام البعث في العراق كـان من أهم العوامل الحاسمة في سعي موسكو إلى تقوية حضورها في المنطقة لاسـيما وأن حلفاءها العرب في سوريا وليبيا قد فقدوا الكثير من قوتهم السابقة.

3-1-4 العامل الديني والإيديولوجي كمحدد للسياسة الخارجية السعودية تجاه روسيا

كانت الأيديولوجيا العقائدية من المتغيرات المؤثرة والمحددة لنمط العلاقـات بين الدولتين وخاصة في عهد الاتحاد السوفيتي المنهار الذي تبنى العقيدة الـشيوعية واضطهدت في عهده الأديان وحوربت.

ورغم انهيار هذا الركن بانهيار الاتحاد السوفيتي، فقد ظلـت تبعـات ذلـك مستمرة باعتبار روسيا وريثة الاتحاد السوفيتي وكانت السعودية وقتها حليفة لعدوها الأول الولايات المتحدة الأمريكية. وذلك فيما كان يسمى بالحرب الباردة بين قطبـي العالم حينها الرأسمالي والاشتراكي وما ترتب عليها من تولد سياسـة الاسـتقطاب والاحتواء المزدوج لدول العالم الثالث، مع ذلك وفي ظل حوار الحضارات لم تعـد الإيدولوجيات متناقضة وتشكل محوراً في تحديد ملامح السياسة الخارجية فها هـي روسيا تطلب الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي وتقول على لـسان رئيـسها السابق فلاديمير بوتين أن في روسيا ما يقارب (20) مليون مسلم يـشعرون بـأنهم جزء من العالم الإسلامي.

ينبع اهتمام المملكة العربية السعودية بروسيا بشكل أساسي من كونهـا بلـداً يشكل المسلمون نسبة كبيرة بين سكانه. وفي كل الأحوال ألقى العامل الـديني بعـد تفكك الاتحاد السوفيتي ظلاله على العلاقات الثنائية سلباً وإيجاباً. وشكل أحـد أهـم الدوافع لإقامة وتطور العلاقات بين الدولتين التي أثرت كثيراً في صياغة مواقف كل من الطرفين حيال الآخر، وعندما بدأت المؤسسات الخيرية الـسعودية (والأوسـاط التجارية، والدينية الواقفة خلفها) نشاطها بين مسلمي روسيا لم تكن تقدر الأوضـاع داخل الأمة الإسلامية الروسية. فهي لم تأخذ بالاعتبار أمراً هاماً، هو أن القطيعـة التي استمرت عدة عقود بين المسلمين في روسيا وبين البقاع التي نشأ فيها الإسـلام

قد خلقت وضعاً لعودة المسلمين إلى الإسلام بعيداً عن الدين الحنيف المفهوم بـوعي وإدراك. (الشيخ، 2006، 68)

ظهر في ظروف تطور روسيا بعد سقوط الاتحاد السوفيتي تحرك اجتمـاعي قوي غير مسبوق في صفوف الأمة الإسلامية الروسية حول المساعدات الـسعودية، وكان ينظر لها إلى كأحد عناصر الصراع السياسي في بعض الأحيان. وخلق هـذا الصراع- بدوره- في ظل عدم ضبط حدود روسيا مع جيرانها الجنوبيين (القوقـاز خصوصاً) فوضى سياسية، وظهور مراكز سلطوية داخلية متعددة ومتعارضة فيمـا بينها. وكانت النتيجة واضحة، فإن مسلمي روسيا لم يتحولوا إلـى عامـل للتـأثير الإيجابي على العلاقات السعودية الروسية لصالح تطويرها، وعلى أية حال ما كـان الأمر يتعلق فقط بموقف السلطات الروسية، أو الإدارات الدينية الإسلامية الرسـمية في روسيا، بل – وبالدرجة الأولى-بموقف المؤسسات الخيرية السعودية التي لم تكن تمتلك منهجية تذكر لعملها، وهذا هو ما جعل السلطات الروسية الرسمية تتخذ موقفاً معيناً تماماً حيال المؤسسات الدينية السعودية، وتسمح لبعض وسائل الإعلام بالتهجم الصريح على المملكة، وسياستها الخارجية.(أحمد، 2003)

وفي العام 1995م شنت القوات المسلحة الروسية أول عملية حربية لها فـي الشيشان، واتخذت الحكومة السعودية تدابير تقديم المساعدات الإغاثية إلـى أهـالي الشيشان.ويعني ذلك أن الشيشان كادت تتحول إلى الأولوية القصوى بين اتجاهـات نشاط المملكة العربية السعودية في منطقة ما بعد الاتحاد السوفيتي. وفي العام 1995 ذاته وبمرسوم خاص من الملك فهد وعلى أساس تبرعاته الشخصية تأسس برنـامج الملك فهد الإغاثي للشيشان برعاية الأمير عبد العزيز بن فهد. (الرشـيدي، 2001، ص 69)

لقد أرتكز التقويم السعودي الرسمي لأحداث الشيشان على قيام مجابهة فـي إطار الدولية الروسية الواحدة بين مجموعتين قوميتين ودينيتين مـن الـسكان همـا الشياشنيون والروس. علماً بأن إحدى المجموعتين "تتمادى في استخدام القوة" ضـد المجموعة الأخرى. وبحكم ذلك تقدم المملكة العربية السعودية المساعدات الإغاثيـة لمن تعتبرهم المتضررين من استخدام القوة. وكان يراد للمبادرة السعودية أن تغـدو

جزءا من الجهود الدولية لإغاثة الشيشانيين من الكارثة. إلا أن تلك الجهود تواجه صعوبات كبيرة إن لم نقل متعذرة في تلك الظروف. ولم تطرح المملكة في الوقت ذاته أية شروط بشأن مكانة الشيشان وتأثيرها على العلاقات بين الدولتين.(الرشيدي، 2001)

خلال الفترة 1995-1997م فضل منسوبو البرنامج (ومكتب عمله كان في موسكو) تقديم مساعدات "موجهة" خصيصاً لإغاثة اللاجئين، والمتضررين من الحرب الشيشانية الأولى (في الأراضي الشيشانية، وفي موسكو، وأنغوشيتيا، وداغستان، وأذربيجان). ولم تكن السلطات المركزية الروسية تمارس رقابة تذكر على نشاطهم. وفي أبريل –1995م حيث تم إنفاق (400) ألف دولار على بقية مراحل العمل (1995- 1997م) ويضم مصروفات نقل الأغذية، والأدوية، والأجهزة الطبية، والألبسة الشتوية، وثياب الأطفال، والخيام، والأدوات المنزلية، والتجهيزات المدرسية، وحقائب التلاميذ إلى المنطقة. ولم تكتمل الصورة، ومن المرحلة الثانية ضم نفقات تجهيز 30 مسجداً (300 ألف دولار)، وإصدار قاموس عربي شيشاني (ألفا دولار)، والمصروفات الجارية لمنسوبي مكتب البرنامج في موسكو (أكثر من 18 ألف دولار). (عبد العليم، 2001، ص 52)

إن مساعدة المملكة العربية السعودية لأقطار المنطقة الآسيوية، والإفريقية (وبالدرجة الأولى الأقطار الإسلامية، وكذلك الجاليات الإسلامية، والدول غير الإسلامية)، ومنها المساعدات الإغاثية تشكل أحد العناصر الأساسية في السياسة الخارجية السعودية. ويشغل تقديم المساعدات الاقتصادية المرتبة الرابعة في قائمة المهمات الإستراتيجية للسياسة الخارجية للمملكة، بعد قضايا الأمن وتطوير التضامن مع أقطار العالم العربي والإسلامي، ودعم السلام والاستقرار الدولي. ويعتقد الباحثان الروسيان "غ.كوساتش، وميلكوميان" "أن المملكة العربية السعودية" وهي تقدم هذه المساعدات، تحافظ على سمعتها كنموذج وصورة للتطور الإسلامي الحق، كما تعمل على خفض مستوى المجابهة داخل المنطقة الآسيوية- الإفريقية بمواصلة تقديم المساعدات الشاملة إلى دول منظمة المؤتمر الإسلامي، وكذلك من خلال

مؤسسات هذا المؤتمر إلى الأمة الإسلامية في بـاقي أقطـار العـالم".(كوسـاتش وميلكوميان، 2001، ص 105)

وبذلك تقوي المملكة نفوذها الدولي، وتعمل على تقوية أمنها في الوقت ذاته، وتغدو مركزاً هاماً للتطور العالمي ككل.

أصبحت أحداث الشيشان عقبة في طريق تطوير العلاقات السعودية الروسية، واعتبرت المساعدات الإغاثية السعودية للشيـشان فـي روسـيا دعمـاً للعمليـات الانفصالية الجارية فيها. وقيل إن رجل أعمال سعودياً زار مدينة أوليانوفـسك فـي العام 1991م، واعتمد مبلغاً كبيراً لبناء مسجد في المدينة. وصورت أعمالـه فـي الوقت ذاته على أنها محاولة لإيجاد قناة من خلال الشيشانيين المقيمين في المدينـة لتوصيل مبالغ مالية إلى المعارضة الشيشانية. وتعتقد الدوائر الأمنيـة الروسـية أن تنظيم القاعدة كان على اتصال وثيق بالمجاهدين الشيشانيين، وكان يزودهم بالسلاح، وينظم إرسال مقاتلين من التنظيم إلى الشيشان. وعدا ذلك استغلت الـدوائر الأمنيـة الروسية واقع أن أحد أشد القادة الميدانيين تعصباً في الشيشان هو من أصل سعودي. (العسلي، 2008)

يستنتج ذلك من كون كلا طرفي النزاع المستمر – الدولة الروسية والمقاتلون الشيشانيون لا يزالان ينطلقان من وجهتي نظر على طرفي نقيض، إحداهما تـصر على الاستقلال، والأخرى ترفضه قطعاً. والجانب الشيشاني المصر على الاستقلال يطالب بانسحاب القوات الروسية دون قيد أو شرط، بينما يعتبر الجانـب الروسـي وجودها في الشيشان- التي هي برأيه جزء لا يتجزأ من روسيا الاتحادية – شـرطاً إلزامياً لأية تسوية. ثم إن الجانب الشيشاني مجزأ إلى عدة تشكيلات تعمل بإمرة قادة ميدانيين مستقلين بعضهم عن بعض (وكذلك الكيان الاجتماعي الشيشاني موزع إلى عدة طوائف لا تمثل وحدة اجتماعية متراصة). ولا يوجد تنظيم سياسي مؤثر، قادر على كسب مصداقية وشرعية في رأي المجتمع بأسره. أخيراً فـإن قيـادة الجـيش الروسي، والأجهزة الأمنية تمارس تأثيراً كبيراً على عملية صنع القـرار الـسياسي فيما يخص الشيشان. (معمر، 2000، ص63)

ومما خفف حدة توتر الموقف الروسي بسبب قضية الشيشان الموقف الرسمي لحكومة المملكة العربية السعودية تجاه المشكلة الشيشانية، باعتبارها قضية داخليـة تحل وفق دستور روسيا الاتحادية، الأمر الذي تأكد مجدداً أثناء الزيارة التي قام بها ولي العهد السعودي –آنذاك- الأمير عبد ا إلى العاصمة الروسـية فـي سـبتمبر 2003م. وقد صرح لجريدة الأزفستيا أن تسوية القضية الشيشانية التي طال أمـدها يجب أن تتم بالطرق السلمية من خلال الإجراءات الدستورية فـي إطـار روسـيا الاتحادية. ومع ذلك ينبغي لمسألة الخروج من هذا المأزق أن ينطلـق مـن كـون المملكة العربية السعودية التي هي الدولة الريادية في إطـار المجتمـع الإسـلامي العالمي تستطيع العمل بمزيد من التركيز والثبات في اتجاه تسوية المسألة الشيشانية. فإن تأييدها للتبدلات في موقف القيادة الروسية حيـال الشيـشان يتطلـب مـساهمة دبلوماسية ملموسة من المملكة في احتواء الموقف في الشيشان. وتقـديم مـساعدات مالية واقتصادية للمشاركة في إعمار البنية التحتية في الشيـشان. وهـذا وإن كـان يستجيب في آخر الأمر لمصالح روسيا، فإنه يحقـق للـشعب الشيـشاني مـصلحة الخروج من الأزمة وشيئاً من الاستقرار، وبالتالي يحقق مصلحة المملكـة العربيـة السعودية في إطار صيانة العلاقات بينها وبين روسيا الاتحادية، بما فيها الـشعوب والقوميات الإسلامية في روسيا وتطويرها. (الأزفستيا، 2003)

كانت مشكلة الشيشان إحدى ساحات "التعامل السعودي الروسي عبر الخصام" في تسعينات القرن العشرين. إلاّ أن إمكانيات تطوير العلاقات بين البلدين في تلـك الفترة عانت من هزات سياسية أخرى من خلال نشاطات الجانب السعودي في دول يوغسلافيا السابقة، حيث قامت دول جديدة (جمهورية البوسنة والهرسك)، أو اندلعت حركات انفصالية (ألبان كوسوفا). وباتت منطقة "التعامل والخصام" هذه فـي حكـم الواقع بسبب اختلاف مواقف الدولتين حيال شبه جزيرة البلقان التي كانـت روسـيا تعتبرها منطقة لمصالحها الجيوسياسية، اكتسبت مصداقيتها من "الوحـدة الـسلافية الأرثوذكسية"، الأمر الذي تجلى عملياً في دعم روسيا لأفعال الصرب، فصدر فـي السابع عشر من إبريل عام 1992م اعتراف المملكة العربيـة الـسعودية رسـمياً باستقلال جمهورية البوسنة والهرسك. (الأزفستيا، www.elaph.com 2003)

أما حول قضية انتساب روسيا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي (بصفة مراقب في بادئ الأمر) فهي مسألة تكاد تكون الأكثر مبدئية، حتى مع الأهمية الكبيرة للاتصالات الاقتصادية بين البلدين، وبديهي أن استقرار روسيا ووحدتها يتطلبان تطوير أوثق الصلات بين المؤسسة السياسية في هذه البلاد، وبين المسلمين الذين يشكلون عنصراً مكوناً كبيراً لسكانها.

فقد أكد الرئيس الروسي السابق بوتين "أن حوالي 20 مليون مسلم يقيمون في روسيا، ولهم كامل الحق بأن يشعروا بأنهم جزء من العالم الإسلامي"، وحظيت تصريحات بوتين، في هذا الخصوص بتأييد فوري من كلا مركزي إدارة الحياة الدينية لمسلمي روسيا المتعارضين فيما بينهما (مجلس شورى المفتين في روسيا، والإدارة الدينية المركزية للمسلمين). كما أبدت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تفهما لتصريح الرئيس بوتين. ففي لقائه معه أكد بطريرك موسكو وعموم "روسيا ألكسي الثاني" في معرض تناول موضوع مشاركة روسيا في منظمة المؤتمر الإسلامي "أن الكنيسة الأرثوذكسية الروسية تسعى إلى إقامة علاقات طيبة مع الأديان الأخرى، وأعاد إلى الأذهان أنه يلتقي بانتظام مع زعماء الطائفة الإسلامية في روسيا".(الرشيدي، 2001، ص34)

إلا أن لمسألة منظمة المؤتمر الإسلامي جانباً آخر لا يقل أهمية، ويرتبط بالقضية الشيشانية، فإن غياب التسوية الشيشانية لأمد طويل دفع روسيا إلى البحث عن سبل أخرى لحل هذه المشكلة، ومنها إقامة علاقات مباشرة مع أبرز منظمات العالم الإسلامي التي تتولى المملكة العربية السعودية مهمة المؤسس والزعيم والممول لها. وبعد 11 أيلول2001م دخلت النخبة السعودية في مواجهة مع مظاهر الغلو الديني وأبرزها التي حدثت في الرياض في 12 أيار، و8تشرين الثاني 2003م، وبهذا الخصوص أخذت مستجدات الوضع في المملكة العربية السعودية تقنع القيادة الروسية بضرورة الاستفادة من الاتصالات بمنظمة المؤتمر الإسلامي لتسوية مشكلة القضية الشيشانية التي تهدد الاستقرار الداخلي في روسيا وحرمة أراضيها. (الرشيدي، 2001، ص 55)

إن مسألة العلاقات مع منظمة المؤتمر الإسلامي تشكل قضية رئيسية بالنسبة إلى السياسة الداخلية الروسية، من حيث بعض أشكال تركيبة "الوحدة الداخلية" للبلاد. فإن أي شكل لحلها إيجابياً إنما يغير أوضاع العنصر "الإسلامي" بين المواطنين الروس، وأوضاع النخبة السياسية، والدينية. وهذا أمر تدركه روسيا نفسها، وقد أشار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أثناء وجوده في ماليزيا إلى المؤشرات الكمية للأمة الإسلامية الروسية قائلاً: روسيا بالطبع جزء من العالم الإسلامي، وعلى أية حال فإن مسلمينا يجب ألا يشعروا بأنهم أناس من الدرجة الثانية في العالم الإسلامي. ولهم الحق في الاتصالات المباشرة مع العالم الإسلامي من خلال المنظمات الدولية، ومنها منظمة المؤتمر الإسلامي، وأضاف لدينا 25 مليون مسلم، ولكن لدينا 125 مليون مواطن غير مسلم، وبلادنا بالأساس نصرانية أرثوذكسية، وعلى هذا الجزء من السكان أن يدركوا أن الدولة تحترم الحقوق والمصالح المشروعة لمواطنيها المسلمين. وهذا طريق الوئام الديني، واحترام حقوق الطرفين ومصالحهما(الشيخ، 2006، ص 16)

أهمية الدين في تطور العلاقات الروسية السعودية:

أولاً: إن الإدارة الدينية في روسيا تطمح إلى أداء دور جسر بين منظمة المؤتمر الإسلامي والمملكة العربية السعودية وبين روسيا. وقد قال الشيخ عين الدين "لدى بلادنا (روسيا ودول منظمة المؤتمر الإسلامي) قدرة عظيمة لتوسيع الاتصالات الاقتصادية والسياسية، ولا بد من الاستفادة من هذه القدرة". (عبد العليم، 2001)

ثانياً: إن تطوير العلاقات مع منظمة المؤتمر الإسلامي إنما يتجسد في الخطوة الفعلية التي اقترحها الرئيس الروسي السابق بوتين "لدعم الإسلام الذي هو أحد الديانات الرئيسية لبلادنا"، وكما هو حال الكنيسة الأرثوذكسية الروسية يتوقف نجاح سعي مجلس شورى الإفتاء على تعزيز مواقعه الاجتماعية التي تضعضعت بسبب التناقضات مع الإدارة الدينية المركزية للمسلمين، وعلى علاقات المجلس مع المؤسسة السياسية الروسية.

أن إمكانات تطوير علاقات روسيا مع منظمة المؤتمر الإسـلامي يـستجيب لمصالح السياسة الروسية الحالية في الشيشان. وهو يستجيب -بالقدر نفسه- لمصالح النخبة السياسية الشيشانية نفسها، وكذلك لمصالح الأوساط الحاكمة في الجمهوريات الروسية الإسلامية الأخرى في شمال القوقاز، فالمؤسسة السياسية الروسية عنـدما تطور علاقاتها مع منظمة المؤتمر الإسلامي ستضطر إلى الدفع لجهة تحويل تلـك الجمهوريات أكثر فأكثر إلى لاعبين مستقلين نسبياً في مجـال الاتجـاه الإسـلامي للسياسة الخارجية لروسيا، وعلاقاتها الاقتصادية الخارجية، وإلى ذلـك فـإن هـذه الاستقلالية النسبية ستزداد إذا تمكنـت مجموعـات النخبـة الإقليميـة فـي تلـك الجمهوريات من الاستفادة من هويتها الإسلامية بالقدر اللازم، وبنـت علـى هـذا الأساس علاقاتها مع هيئات وصناديق منظمة المؤتمر الإسلامي الكثيرة.

ثم إن روسيا ستحظى من وراء تطوير العلاقات مع الـسعودية، والأقطـار الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بتأييد هذه الأقطار لها في الـنهج الذي اختطته حيال الدول "الإسلامية" في آسـيا الوسـطى، وأذربيجـان (القوقـاز الجنوبي) وتلك نقطة مبدئية بالنسبة لروسيا على ضوء الوجود الغربي الـذي بـات أمراً واقعاً في آسيا الوسطى بعد سقوط دولة طالبان في أفغانـستان. إلا أن الأهـم بالنسبة لروسيا أنها عندما تنسق أعمالها مع المملكة العربية السعودية فـي ميـدان النفط والغاز تتمكن من تفادي المنافسة غير المرغوب فيها من جانب الجمهوريـات السوفيتية السابقة.(Cohen, 2003)

باتت هذه المسألة ملحة بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية أيضاً. فالتطور في المرحلة التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفييتي وفر للأقطـار "الإسـلامية" التـي استقلت عن الاتحاد السوفيتي (رغم كل الصعوبات) فرصة أداء دور فاعل في سوق النفط والغاز العالمي. وكان يمكن أن ينشأ بالنسبة إلى المملكة وضع جديـد مبـدئياً يتحول فيه أبناء الأمة الإسلامية "الجدد" إلى منافسين وليس شركاء للمملكة (ولمجلس التعاون لدول الخليج العربية). وكان هذا الوضع ممكنا بالفعـل مـا دام حـضور المملكة لم يكن بالقدر الكافي في ميدان إنتاج النفط والغاز في تلك الأقطار، وبالعكس

كان الوجود الغربي الواسع (وبإشراف الولايات المتحدة) يشكل –في رأي المملكة- خطراً محتملاً يهدد نفوذها في سوق الوقود العالمي. (الرشيدي، 2001، ص125)

تحرص المملكة العربية السعودية في المجال الدولي على إقامة علاقات متكافئة مع القوى الكبرى، والتي ارتبطت معها بشبكة من المصالح التي يمكن وصفها بأنها جاءت كانعكاس لدورها المحوري المتنامي في العالمين العربي والإسلامي، والتي سعت من خلالهما إلى توسيع دائرة التحرك السعودي على صعيد المجتمع الدولي، لذا تحاول المملكة أن تتفاعل مع مراكز الثقل والتأثير في السياسة الدولية آخذة في الحسبان كل ما يترتب على هذه السياسة من تبعات ومسؤوليات، وإيماناً من المملكة العربية السعودية بأهمية الدور الذي تلعبه هيئة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات الدولية مجتمعه في سبيل رقي وازدهار المجتمع الدولي في كافة المجالات وفي مقدمتها الأمن والسلم الدوليين، فقد انضمت المملكة إلى كل هذه المنظمات وحرصت على دعم هذه المنظومة الدولية بكل الوسائل والسبل المادية والمعنوية والمشاركة الفاعلة في أنشطتها.(الشايب ،2004)

ويلخص الباحث ثوابت السياسة الخارجية السعودية ومرتكزاتها بما يلي:

1- انسجام سياسة المملكة الخارجية مع مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها دستوراً للمملكة العربية السعودية، ويبرز ذلك من خلال التزامها بالشريعة الإسلامية، في سياستها الداخلية والخارجية.
2- احترام مبدأ السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة ورفض أية محاولة للتدخل في شؤونها الداخلية.
3- العمل وبكافة الوسائل من أجل السلام والأمن الدوليين، ورفض اللجوء إلى استخدام القوة في حل النزاعات التي تقع بين الدول.
4- إدانة ورفض الإرهاب العالمي بكافة أشكاله وأساليبه، والتأكيد على براءة الإسلام من كل الممارسات الإرهابية.
5- الالتزام بقواعد القانون الدولي والمعاهدات والمواثيق الدولية والثنائية واحترامها سواء كان ذلك في إطار المنظمات الدولية أو خارجها.

6- الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية في المحافل الدولية من خـلال الـدعم المتواصل بشتى الوسائل السياسية والدبلوماسية والاقتصادية.

7- تطبيق سياسة متوازنة في مجال إنتاج النفط وتسويقه، نظراً للثقل الذي تمثلـه المملكـة كأحـد أكبـر المنتجـين وتمتلـك أكبـر احتيـاطي نفطـي فـي العالم.(أكيرمان،2003)

اتخذت المملكة منذ قيامها في بداية القرن العشرين منهجاً سياسياً واضحاً يقـوم على رؤى سياسية محددة وشفافة مبنية على التماسك الداخلي الذي أعطى سياسـتها الخارجية مكانة ومرونة في التعامل مع المتغيرات الدولية والإقليمية تتلائم وأهميتها الإستراتيجية الإقليمية والدولية، للوصول إلى تحقيق أهداف سياستها الخارجية مـن خلال مجموعة من المرتكزات التي قامت عليها والتي تمثل: (الرشيدي،2001)

الالتزام بالعقيدة الإسلامية والمحافظة عليها ونشرها:

كانت العقيدة الإسلامية ولا تزال من الأسس التي قامت عليها المملكة كونها تقع موقع القلب من العالم الإسلامي، فمنها انطلقـت الـدعوة الإسـلامية وانتـشرت، وبأرضها يوجد الحرمان الشرفيان. لذا فإن انعكاس هذا الالتزام قـد ظهـر بـشكل واضح في سياستها الخارجية بالتزامها بالدعوة الإسلامية والـدفاع عـن مـصالح المسلمين واحتضانها للعمل الإسلامي، والذي تمثلـه منظمـة المـؤتمر الإسـلامي ورابطة العالم الإسلامي، ودعمها للتضامن العربـي والتزامهـا بـالنهج العربـي الإسلامي، ومواقفها في المحافل الدولية تجاه القضايا الإسـلامية، ودعمهـا العمـل الإسلامي المشترك سياسياً ومالياً وتقديمها المعونات للدول الإسلامية. وقـد شـكل الاهتمام بقضايا المسلمين في دول العالم وفي روسيا الاتحادية محدداً لسياسة المملكة العربية السعودية مع الإتحاد السوفيتي.(عبد العليم،2001)

الالتزام بالقانون والشرعية الدولية:

يشكل المزج بين الأخلاقيات والواقعية سمة مميزة للمملكة في المنهج والآليات لسياستها الخارجية على النطاق الدولي تأكيداً لعقيدتها وتراثها وتقاليدها من جهـة، وشخصية صانع القرار السياسي في المملكة وإلمامهـا بكافـة الجوانـب العمليـة السياسية وقواعد اللعبة الدولية من جهة أخرى، فسياستها الخارجية ترتكز علـى أن

المصالح الوطنية كلٌ لا يتجزأ، ومن ثم التعامل مع الدول على أساس صـادق مـن الاحترام المتبادل ورعاية المصالح المشتركة، ومن هذا المنطلق كانت المملكة دائماً تحرص على التحرك في المجال الدولي بدقة واتزان ودراسة دقيقة لقوتها وإمكاناتها المادية والبشرية ومواردها الطبيعية والتي ترتكز عليها لتحديد أولويـات سياسـتها الخارجية ومواقفها من المتغيرات على الساحة الدولية بما يحقق مصالحها الوطنية. (سعيد، 1993، ص 15)

تلتزم المملكة بمبدأ الشرعية الدولية في علاقاتها الدولية، وإذا أردنا ترجمة ذلك إلى الواقع فهو يعني احترام المملكة للمواثيق والمعاهدات والاتفاقيات الدولية التـي تعقدها المملكة مع الدول وبما يتفق مع مصلحتها الوطنية، كما أنه يعني احترامهـا للدول التي تربطها بها علاقات دبلوماسية، وكذلك احترامها للمنظمات الدولية التـي تنتسب إليها عن طريق التزامها بمقرراتها وتوصياتها، فالمملكـة عـضو مؤسـس وفعال في كل من منظمة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربيـة ومنظمـة المـؤتمر الإسلامي، وقد طرحت المملكة مبادرات لتطوير وإعادة هيكلة هذه المنظمات لتكون مؤهلة لتحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها.وقد كانت المملكة وروسيا من الـدول الأكثر التزاماً بقرارات الشرعية الدولية، ولأن روسيا تشكل أحـد الـدول صـاحبة "الفيتو" في مجلس الأمن فإن المملكة ترغب في استغلال ذلك فـي دعـم المواقـف العربية في مجلس الأمن. (شفيق،1985)

رفض التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول:

تقف المملكة بكل صلابة ضد التدخل الأجنبي الذي يشكل خطراً جسيماً علـى الاستقرار الدولي، ولا ترى أن العلاج هو التدخل المضاد من طرف آخـر وإقامـة القواعد الأجنبية، بل أنها تؤمن أن العلاج الأمثل له هو تمكين تلك الدول من زيـادة قدرتها على تأمين وسائل الدفاع عن النفس وعن طريق إيجاد أكبر قدر من التنسيق والتعاون بين دول المنطقة الواحدة، وانطلاقاً من هذا المبدأ فلقد كانت المملكـة أول من نبه إلى خطورة الغزو السوفييتي المسلح لأفغانستان، وأول من وقف بكل عـزم ضد ذلك العدوان باعتباره سابقة خطيرة لا تقتصر علـى انتهـاك سـيادة الـشعب

الأفغاني وسلبه حقه في تقرير مصيره واختيار النظام الذي يرتضيه بل تمتـد إلـى نشر عدم الاستقرار في المنطقة (بدوي، مرسي، 1989)

وكذلك موقفها من احتلال العراق والصراع في منطقـة الـشرق الأوسـط والدعوة إلى توحيد الصف العربي، وكذلك رفضها لكل أشكال التدخل الغربي فـي دول العالم الثالث، إذْ تعتبر المملكة أن من مسلمات السيادة الوطنية الاستقلالية فـي القرارات وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول.

وبالنظر إلى سياسة المملكة في المرحلة الحاليـة نجـد أن المملكـة العربيـة السعودية تعمل على ترسيخ هذا المبدأ على المستوى الدولي من خلال رفـع هـذا الشعار في المحافل الدولية، وقد تنبهت المملكة إلى الأساليب الجديدة للتـدخل غيـر المباشر لبعض الدول الكبرى بوسائل اقتصادية واجتماعية وإعلاميـة ممـا يهـدد الاستقرار السياسي لكثير من دول المنطقة، إذْ تعتبر المملكة أن مبدأ عدم التدخل من المبادئ التي يجب أن يقوم عليها النظام العالمي الجديد لقناعتها الراسخة بتأثير ذلك على البناء الوطني الداخلي، والتجارب الدولية في هذا المجال واضـحة وكثيـرة، ودليل ذلك ما يجري الآن في العراق وأفغانستان (بدوي، مرسي، 1989)

الدعوة إلى التعايش السلمي وفض النزاعات بالطرق الدبلوماسية:

فرضت حالة عدم الاستقرار السياسي والأمنـي، والنزاعـات والـصراعات الداخلية والإقليمية والتهديدات الدولية، على دول المنطقة اتخاذ سياسات تكون قادرة على الحفاظ على سيادتها واستقرارها الداخلي، وقد عبر وزير الخارجية الـسعودي سعود الفيصل عن أهمية التعايش السلمي في الحفاظ على الأمن والاستقرار الدوليين في مرحلة الحرب الباردة بقوله" إن أدوات القتل والتـدمير التـي تمتلكهـا الـدول العظمى قد بلغت من قوة الفعل وشدة الأثر ما يجعلها قادرة على إنهاء الحضارة في وقت قصير، لذا فإن من الواجب المفروض علينا هو بذل الجهد الصادق المـستمر للحيلولة دون انطلاق هذه القوة التخريبية الهائلة، ودعم السلام العالمي بكل وسـيلة ممكنه". (العسلي، 2008س، ص 33)

انطلاقاً من مبادئ العدالة والسلام والأمن نادت المملكة بمبادئ السلام المبنـي على الحق والعدل، وحرصت على استقرار الأوضاع الدولية خاصـة فـي العـالم

العربي والإسلامي، حيث تعتمد على وسائلها الدبلوماسية والتدخل في فض النزاعات والخلافات بين الدول العربية والإسلامية، وقد وفقت إلى حد كبير من خلال مساعيها الحميدة في التوفيق مابين الدول وحل النزاعات فيما بينها، كما أنها حرصت علـى حماية نفسها من مخاطر الانزلاق في الصراعات الإقليمية والدولية، فالمملكة تؤمن بأهمية السلام العالمي وأهمية الحد من سباق التسلح والذي يحقق للدول الإسـلامية غاياتها في التطور والتقدم.

وقد تجسد اهتمام المملكة بأهمية التعايش السلمي من خلال مبـادرة المملكـة لإصلاح هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن للتوفيق بين مصالح دول العالم المتقدمـة والنامية، وأن هذه المنظمة تمثل مرجعية دولية لحل النزاعات وحفظ السلام والأمن الدوليين، وتجلى ذلك في انتقادها لازدواجية المعايير الدولية في مواقف مجلس الأمن تجاه الصراع العربي الإسرائيلي وخصوصاً قضية القدس، واتخاذ ممثلـي مجلـس الأمن لمواقف متشددة تجاه بعض الأحداث الدولية وعدم اتخاذه لنفس المواقف تجـاه كثير من القضايا العربية والإسلامية مما أفقد المجلس مـصداقيته علـى المـستوى الدولي والإقليمي، وقد اكتسبت مواقف المملكة ومن خـلال محاربتهـا للإرهـاب والتعاون مع كافة الجهات الدولية ذات العلاقة ودعوتها لإنـشاء صـندوق دولـي لمكافحة هذه الظاهرة التي أصبحت من أكثر الظواهر تأثيراً على الـسلام والأمـن الدوليين، وقيام المملكة بعقد مؤتمر دولي عن مكافحة الإرهاب، كل ذلـك يعطـي أهمية خاصة للتعايش السلمي وأهميته في السياسة الخارجية السعودية، واهتمامهـا بتحقيق الاستقرار والأمن الدوليين. (شرف،1992)

يرى الباحث أن المملكة العربية السعودية كانت من الدول العربية التي نـادت وتنادي بأهمية فض النزاعات بالطرق الدبلوماسية، وعدم اللجوء إلى القوة كأداة في السياسة الخارجية، من هنا نجد أن الدبلوماسية السعودية قد نجحت في حل النزاعات والصراعات في المنطقة، وقد تمثل ذلك بشكل واضح فـي اتفـاق الطـائف بـين اللبنانيين واتفاق مكة المكرمة بين حركتي فتح وحمـاس الفلـسطينيتين، والجهـود الدبلوماسية التي تبذلها المملكة لحل النزاعات العربية والتعاون العربي المـشترك، وقد تمثل ذلك في دور المملكة في حل قضية لوكربي بين ليبيا والولايات المتحـدة

الأمريكية، ومبادرة السلام التي طرحها الملك عبد ا بن عبد العزيز لحل النـزاع العربي الإسرائيلي، وجهود المملكة في تدعيم التعاون بين دول الخليج العربي، وحل الخلافات داخل إطار مجلس التعاون الخليجي.(علي،2008)

وقد برز الدور السعودي في حل الخلاف الحدودي بين قطر والبحرين ولـولا تدخل المملكة الحاسم والمباشر لحدث نزاع مـسلح بـين الـدولتين علـى منطقـة الحدودية، وكذلك عملت المملكة على دعم جهود كافة الدول الخليجية لترسيم حدودها وتسوية الخلافات الحدودية بينها من خلال أنشاء لجنة تسوية المنازعـات التابعـة لمجلس التعاون الخليجي، وساهمت المملكة في ترسيم الحدود بين دولـة الإمـارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وكذلك تدخل المملكة المباشـر فـي حـل الخـلاف الحدودي وترسيم الحدود بين سلطنة عمان واليمن في عام 1995م، ودعوة المملكة إلى تسوية النزاع بين دولة الأمارات العربية المتحدة وجمهورية إيـران الإسـلامية بالطرق السلمية، ودعوة إيران إلى إجراء مفاوضات مباشرة حول الجزر الثلاث مع الإمارات، وقد نجحت المملكة في التوصل إلى اتفاق لإنهاء مـشكلة الحـدود مـع جمهورية اليمن وتوقيع اتفاقية ترسيم الحدود السعودية اليمنية فـي حزيـران عـام 2000م.

تشدد المملكة على أهمية التعاون الإسلامي، ويبرز ذلك بشكل واضح في إطار عمل منظمة المؤتمر الإسلامي التي تحتضنها مدينة جدة، وكلمات الملك عبد ا بن عبد العزيز في مواسم الحج من كل عام توضح أهمية التعايش السلمي والتعاون بين الدول الإسلامية في سبيل وصولها إلى هدف الأمن والاستقرار، ويبـرز الموقـف السعودي تجاه القضايا العربية والإسلامية من خلال مبادرة المملكة العربية السعودية حول كثير من النزاعات وآخرهـا المبـادرة الـسعودية حـول المـصالحة فـي الصومال.(السعدون،2001)

إقامة العلاقات الدبلوماسية واحترامها بين المملكة ودول العالم:

التزمت المملكة خلال مراحل تطورها بمبدأ إقامة علاقات دبلوماسـية تقـوم على أسس من التعاون والتكامل على مختلـف المـستويات، والمتتبـع للعلاقـات الدبلوماسية للمملكة يجد أنها تقوم بتوسيع علاقاتها الدبلوماسية مع دول العالم بشكل

مستمر. وفي مجال احترام التبادل والتمثيل الدبلوماسي نجد أن المملكة من أكثر دول العالم التزاماً بهذا المبدأ في علاقاتها الدولية والدبلوماسية، ويظهر ذلك مـن خـلال حرص المملكة على عدم التعرض أو الإساءة إلى مكاتب التمثيل الدبلوماسي الدولي في المملكة، وهذا ناتج عن الالتزام بقواعد الشريعة الإسلامية وترسيخ مبدأ الالتزام بقواعد الشرعية الدولية في هذا المجال، والتزامها بمبدأ المعاملة بالمثل في علاقاتها مع دول العالم، وحرصها على إقامة جسور التواصل والتفاهم مع كافة دول العـالم لما تحتله المملكة من مكانة دينيـة خاصـة علـى المـستوى الـدولي. (الـرابط الالكتروني، موقع وزارة الخارجية http://www.mofa.gov., يوم 15-10-2008)

يرى الباحث أن أهم ما يميز سياسة المملكة الخارجية منذ تأسيسها فـي عـام 1932م، هو اعتمادها على فهم أكثر نضجاً للعلاقات الدولية، إنه فهم يتعامل بجدية وواقعية مع المتغيرات الدولية والإقليمية دون أن يتخلى عن الثوابت، ولكنه لا يجعل هذه معوقات تحول دون تحقيق وتدعيم المصالح الوطنية السعودية علـى الـصعيد العالمي، إن السياسة الخارجية السعودية، وأي سياسة خارجية نـشيطة، لا تعـيش بمنأى عن التغيرات ذات الإيقاع السريع في البيئة العالمية، خاصة إذا كانت بعمـق وحجم التحولات التي شهدتها البيئة الدولية بـشكل سـريع ومفـاجئ منـذ بدايـة التسعينات، وهي التحولات التي نتصور أنها تعيد تحديد وتأكيد عدد من التحـديات التي تواجه السياسة الخارجية السعودية في الفتـرة المقبلـة، أن ثوابـت الـسياسة الخارجية السعودية معروفة ومحددة بشكل جيد للدارسين والباحثين، ولا يحتاج الأمر إلى كثير من الجهد لاستشراف الخطوط العريضة لهـذه الثوابـت التـي فرضـتها تكوينات الدولة وعناصر القوة التي تمتلكها. وكرستها ريادة المملكة في المجـالات الدينية والاقتصادية ومسؤوليتها القومية. وقدرتها على المحافظة علـى مرتكزاتهـا الخليجية والعربية والإسلامية وخصوصاً مع تزايد التحديات الدولية والإقليمية على المملكة كي تقوم بإجراء إصلاحات داخلية قد تؤثر على ثوابتها في مجال الـسياسية الخارجية.

وفي كل الأحوال فإن القرار السعودي سواء بدوافعـه الوطنيـة الذاتيـة، أو بمؤثراته الخارجية، أو بدواعيه المستقبلية لا ينشأ من فراغ، ولا يقوم دون أسـاس،

ذلك أن المملكة العربية السعودية تتفاعل مع المجتمع الدولي من خلال التزاماتها بالعضوية في الأمم المتحدة وبالمواثيق والأعراف الدولية التي تحدد السلوك العام للدول والمجتمعات المتحضرة، ويتحدد سلوك المملكة وسياستها في هذا المجال من خلال علاقاتها بغيرها من الدول، وخاصة الكبرى منها، وطبيعة تحالفاتها الدولية والسياسية التي تنتهجها تجاه الصراع الدولي، ومساهمة الدول في تحقيق الأمن الدولي ومشاركتها في المؤتمرات الدولية والقيود التي يفرضها عليها نظام الأمن الجماعي التي ارتضته الدولة في إطار المجتمع الدولي، حيث التزمت المملكة بعدم استخدام القوة في العلاقات الدولية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وتنمية العلاقات السلمية وشجب العنف وجميع الوسائل التي تخل بالأمن والسلم الدوليين.(موقع وزارة الخارجية www.mofa.gov.sa, 2008/10/15)

إن القرار السعودي في مجال السياسة الخارجية يمتاز بعدة خصائص في مقدمتها: الموضوعية وإعطاء الفرصة للطرف الآخر لكي يتخذ مواقف أكثر إيجابية، والاعتدال في الموقف، والتوفيق بين الخصوم، والتوازن في الآراء، وإعطاء الحلول والبدائل والتصورات المناسبة في ظل توفر حسن النية والرغبة في تجنب الصراع وتفاقم الأوضاع وتدهورها، واسترداد الثقة والتعاون بين الخصوم، وقد بدأت المملكة ومنذ عام 1992م بالسماح بتدخل مجلس الشورى الذي يختار الملك أعضاءه(نظام القضاء عند بن باز 2000، ص 264)، في أبداء الرأي والمشورة في صياغة السياسة الخارجية والنظر في المعاهدات والاتفاقات الدولية، تعبيراً عن مشاركة كافة أدوات الحكم وأجهزة الدولة وسلطاتها في صنع القرار السعودي الفاعل.(النظام الأساسي للحكم، 1990، المادة 55)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن جميع أعضاء لجنة السياسة الخارجية في مجلس الشورى هم من حملة الدكتوراه، باختصاصات متنوعة. ستة منهم خبراء في العلاقات الدولية، وواحد في الإدارة التجارية، وواحد في الدراسات الإسلامية واللغة العربية، وواحد في التاريخ المعاصر، وواحد في التخطيط والإنماء، وواحد في علم التربية، وقد نال سبعة منهم درجة الدكتوراه من الجامعات الأميركية، وأربعة من الجامعات البريطانية.

ولا يقتصر الأمر في هذه الحال على المسائل السياسية الخارجية المرتبطة مثلاً ببحث الاتفاقيات السعودية الثنائية، أو القضايا ذات طبيعة إستراتيجية، بما فيها مواجهة التشدد والتطرف على الصعيدين الإقليمي والعالمي، وفي لقاء ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز بالمثقفين في 22 حزيران 2003م طُرحت مسألة ضرورة دفع الإصلاحات. وتقدم المثقفون إلى سموه بالوثيقة الوطنية للإصلاح "رؤية إستراتيجية للوطن ومستقبله" التي تضمنت مقترحات لتوسيع مشاركة جميع أطياف المجتمع السعودي في عملية صنع القرار السياسي على المستوى الداخلي والخارجي.(الشايب، 2004)

ويخلص الباحث إلى أن عملية الإصلاح السياسي في المملكة العربية السعودية قد جاءت لإدراك صانع القرار السياسي السعودي بأهمية توسيع قاعدة المشاركة لمختلف شرائح المجتمع السعودي في القرار السياسي، وتوسيع مشاركة مجلس الشورى السعودي في عمليات اتخاذ القرار كإطار عمل في اتخاذ قراراتها الخارجية، وبما يساعد على زيادة فاعلية عملية اتخاذ القرار السياسي للمملكة العربية السعودية في ضوء إصلاح السياسة الخارجية للمملكة.

ويرى الباحث هنا أن عملية الإصلاح السياسي في المملكة قد شملت جوانب كثيرة أهمها السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية وآليات صنع القرار، وقد بدأت سياسة الإصلاح في المملكة تأخذ أبعاداً تمثلت بعقد مؤتمرات الحوار الوطني السعودي وبتوجهات الملك عبد الله بن عبد العزيز نحو توسيع قاعدة المشاركة في عملية صنع القرار السياسي الخارجي مما ساعد على توسيع قاعدة المشاركة وتعميقها.

2-4 العلاقات السعودية الأمريكية كمحدد للعلاقات السعودية الروسية

إن ما حدث في الحادي عشر من أيلول 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية لم يؤثر على الولايات المتحدة الأمريكية وحدها وإنما ترك آثاراً مباشرة وغير مباشرة على العلاقات الدولية، وانعكس على العلاقات الدولية بشكل مباشر خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملها مع دول العالم، إن حجم الاعتداء

الذي تعرضت له الولايات المتحدة قد أخرجها عن نطاق التفكير السياسي الهـادئ، فكان رد الفعل قوياً من جانبها، حيث أعلنت الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب وبدأت بإصدار القرارات والأحكام بالإرهاب على كل ما تراه لا ينسجم مع تطلعاتها وأفكارها انطلاقاً من المبدأ الذي أعلنه الرئيس الأمريكي جورج بوش (إن من لـيس معنا فهو ضدنا) . وبدأت الولايات المتحدة تفكر بالانتقام عن طريق استخدام القـوة العسكرية والتهديد ضد الدول التي تمثل بؤراً للإرهاب – من المنظور الأمريكي-، فغزت أفغانستان والعراق. (الشيخ، 2006، ص91)

الذي يهمنا في الموضوع هو تأثير ما جرى في الولايات المتحدة على العلاقة بينها وبين المملكة العربية السعودية، إذ اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية السعودية بان لها اليد في أحداث الحادي عشر من أيلول من خـلال اتهامهـا بتمويـل هـذه العمليات، بالإضافة إلى أن معظم منفذي الهجمات يحملون الجنسية السعودية، ممـا ولد انطباعاً لدى الولايات المتحدة بان السعودية تعمل على تشجيع الإرهـاب مـن خلال دعمها لعناصر ذات توجهات إسلامية متطرفة. ومما زاد الأوضاع سوءا بين الطرفين مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية السعودية بالمراقبة المالية وتجميد بعض الحسابات، والأرصدة التابعة لمجموعات إسلامية من ضـمنها بعـض الجمعيـات الخيرية، فضلا عن رفع قضايا تعويض ضد (3) أمراء سـعوديين و(8) منظمـات خيرية إسلامية و(7) مصارف دولية بقيمة مليون مليار دولار من الهيئـات وألـف مليار دولار من الأفراد، كما طالبت الولايات المتحدة السعودية بتعديل مناهج التعليم تحت زعم أنها تحض على التطرف والكراهية للغرب، وطالبت بالمزيد من التعاون السعودي الرسمي وخاصة استخدام قاعدة الخرج كمركز للتحكم والسيطرة والقيـادة للعمليات الحربية ضد أفغانستان. (عبد العليم، 2001، ص122)

وقد رافق ذلك رفض سعودي رسمي تجاه مسألة الرقابة المالية الحكوميـة على الجمعيات والمراكز الإسلامية وتغيير المناهج التعليمية والقـضاء، والتعـاون العسكري العلني، وكذلك ظهور ردود أفعال شعبية غير مـسبوقة فـي الـسعودية مناهضة للسياسة الأمريكية، مما ولد ردود أفعال من قبل الإعلام الأمريكي وبعض الساسة الأمريكان، وظهرت كتابات حول طبيعة البنية السعودية التي أصبحت فـي

جوهرها غير ملائمة للإستراتيجية الأمريكية وقضايا حقوق الإنسان والمشاركة السياسية والحريات العامة في المملكة، والاهم من ذلك كله طرح موضوع تقسيم السعودية. وهكذا يمكن القول أن إحداث 11 أيلول كان لها انعكاسها الخطير على العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية، لأنها كانت السبب المباشر في تصدع العلاقة التي استمرت عقودا طويلة بين الطرفين والتي كانت مبنية على أساس المصالح المشتركة . (العسلي، 2008، ص96)

إن ما جرى من تدهور في العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بسبب المعطيات التي ذكرناها، دفع بالمملكة إلى البحث عن حليف جديد يكون بقوة الولايات المتحدة، فكان التوجه نحو إقامة علاقات جديدة مع روسيا الاتحادية، كما أن روسيا من جهتها كانت بحاجة إلى تعزيز وتقوية وجودها في منطقة الخليج العربي خصوصا في ظل العزلة التي فرضت على حلفائها السابقين في المنطقة مثل ليبيا وسوريا والعراق في أعقاب الحرب التي شنتها الولايات المتحدة على الإرهاب.

التوجه السعودي نحو تطوير التعاون مع روسيا بني على أساس توتر علاقتها مع الولايات المتحدة، لأن الولايات المتحدة بدأت بعد أحداث 11 أيلول بالضغط على السعودية من خلال الرقابة السياسية على صادرات النفط السعودي، كما ظهرت دلائل تشير إلى أن قسم من المجتمع السعودي بدأ يعبر عن أسفه لضعف الموقف الروسي في الشرق الأوسط منذ بداية التسعينات، كما أن المجتمع السعودي أبدى عدم ارتياحه من الوجود العسكري والسياسي الأمريكي في المنطقة.

وبسبب الحاجة الملحة لتقوية علاقة المملكة العربية السعودية مع روسيا، قام وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل بزيارة عمل إلى موسكو في 18 نيسان 2002، وتركزت مباحثاته مع نظيره الروسي أيغور ايفانوف على الوضع في المنطقة وفي العراق وفلسطين وسبل تحقيق مبادرة بيروت(السلام العربية) السعودية بشأن الشرق الأوسط، والتقى الفيصل خلال زيارته الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين.

وكرد على الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السعودي. قام مساعد وزيـر الخارجية الروسي اناتولي سافونوف بزيارة إلى المملكة العربية السعودية بعد شهر من زيارة الأمير سعود الفيصل إلى موسكو، وقد ضم الوفد الروسي ممثلـين عـن مختلف الوزارات والإدارات الحكومية والهيئات القانونية والمتخصصين في محاربة الإرهاب، وخلال المباحثات التي أجراها الوفد الروسي مع وزير الخارجية السعودي ووزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز ومساعديهما تمت مناقشة العديد من اطر التعاون في مجال محاربة الإرهاب، ومن بينها الاتفاق على نظام فاعل لمنع وصول الأموال إلى المنظمات الإرهابية.

لتعزيز العلاقات بين الجانبين زار موسكو وزير الخارجية السعودي سـعود الفيصل في 8 أيار 2003 لغرض التحضير لزيارة ولي عهـد المملكـة العربيـة السعودية الأمير عبدا –آنذاك- إلـى موسكـو، وزار الأمير عبدا موسكو في 3 أيلول 2003، واستمرت زيارته ثلاثة أيام، وفتحت هذه الزيارة الباب واسعا أمام الدخول في مرحلة جديدة من التعاون الوثيق بين الجانبين، تلك الزيارة كانت مدفوعة بالاهتمامات المستقبلية للسعودية في أعقاب حرب العراق، إذ أن الحصول على دعم من بلد بوزن روسيا والتي تحظى باحترام واسع ينطوي على أهمية كبيرة في أطار المساعي الرامية إلى تفادي أي مخاطر مستقبلية مشابهه لتلك التـي تعـرض لهـا العراق، وخلال الزيارة تطرق الطرفان إلى الأوضاع في العراق وعملية السلام في الشرق الأوسط وموضوع الإرهاب، وتم تشكيل لجان مشتركة للتعامل مع القـضايا المتعلقة بمكافحة الإرهاب وتنسيق جهود البلدين في هذا الجانب. (العسلي، 2008)

وفي سعيها نحو تأطير نهجها الجديد، عبرت روسيا عن رغبتها فـي تقويـة علاقاتها مع العالم العربي، وكان ابلغ شاهد على هذا التوجه التصريح الذي أدلى به الرئيس الروسي السابق بوتين في آب 2003، والذي أعلن فيه أن بلاده تفكـر فـي الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي على الرغم من عدم أهليـة روسـيا لنيـل عضوية المنظمة، حيث تنص قوانينها على ضرورة ألا تقل نـسبة المـسلمين فـي الدولة التي يحق لها نيل العضوية عن (25%) من مجموع السكان، إلا أنها ربمـا تعتمد في إنجاح مساعيها تلك على علاقتها مع البلدان الخليجية التي بـدت وكأنهـا

تؤيد المسعى الروسي، وهو أمر انعكس من خلال البيان الصحفي الصادر من فؤاد الخطيب وزير الإعلام السعودي ونشرته الصحف اليومية الروسية المح فيه إلى أن السعودية قد تقدم دعماً لروسيا في حال تقدمها بطلب رسـمي للانـضمام لمنظمـة المؤتمر الإسلامي واستطاعت روسيا بفضل الدعم السعودي مـن الانـضمام إلـى منظمة المؤتمر الإسلامي كمراقب في عام 2005. ومما لاشـك فيـه أن روسـيا ستستثمر انضمامها إلى المنظمة فيما يتعلق بالمسالة الشيشانية، والتي تشعر روسـيا اتجاهها بأنها مستهدفة بحرب إرهابية. (الشيخ، 2006، ص157)

وتعتقد أن التعاون الفعال مع أقطار الخليج العربي وبالأخص المملكة العربية السعودية سيساعد على تكثيف الحوار بين روسيا والأمة الإسلامية، يضاف إليه مـا يمكن أن تلعبه السعودية كمصدر الهام لنحو (25) مليون مسلم روسي.

تطور العلاقة السعودية الروسية دفعت الرئيس الروسي الـسابق فلاديميـر بوتين إلى زيارة السعودية، وللتحضير لهذه الزيارة، قام وزير الخارجية الروسـي سيرجى لافروف بزيارة الرياض في أيار 2006 للتمهيد لزيارة بوتين، ومن جانبها رحبت المملكة العربية السعودية بزيارة الرئيس الروسي، وللدلالـة علـى بـوادر الترحيب المسبقة، أعلن الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية وأمير منطقة عسير في 13 كانون ثاني 2007 أن الهيئة قررت منح جائزة الملـك فيصل العالمية لخدمة الإسلام إلى رئيس تتارستان منتيمير شايميين، كمـا ذكـرت صحيفة عكاظ السعودية التي اعتبرت تتارستان مثالاً للتعايش الاجتماعي والـسلمي ورمزاً للتسامح، وقد تطرق بوتين في مؤتمره الصحفي السنوي في 1 شباط 2007 في موسكو إلى زيارته إلى السعودية وقطـر والأردن، وأشـار إلـى أن الاهتمـام الروسي بمنطقة الشرق الأوسط كان دائماً كبيراً، وعلاقات روسيا معهـا تاريخيـة. (العسلي، 2009)

زار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين المملكة العربية السعودية في 11 شباط 2007، وكانت هذه الزيارة الأولى لرئيس روسي منذ 80 عامـا، وتعهـد خلالهـا بتعزيز علاقات روسيا بالعالم الإسلامي، وترأس كل من الـرئيس بـوتين والملـك عبدا المحادثات التي جرت بين الجانبين، وأكد الملك عبدا متانة العلاقة مـشيراً

إلى أن روسيا كانت أول دولة تعترف بالمملكة العربية السعودية، وأكد بوتين انه صديق للمملكة ولخادم الحرمين، وبحث الجانبان خلال المحادثات التطورات على الساحتين الإقليمية والدولية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والوضع في العراق، إضافة إلى آفاق التعاون بين البلدين. (العسلي، 2009، ص25)

وتأتي خطوة تعزيز العلاقة مع روسيا كجزء من سياسة الانفتاح التي تتبعها المملكة العربية السعودية، حيث تسعى المملكة إلى توظيف علاقاتها مع روسيا في خدمة مصالحها الوطنية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وتأمل المملكة من روسيا أن يكون لها حضور قوي وفاعل في هذه القضية، لاسيما وان روسيا هي أحد الأطراف الرباعية الدولية الراعية لعملية السلام، ويسري الحال كذلك بالنسبة للقضية العراقية التي بات تأثيرها ينعكس على دول الجوار، وأصبحت المنطقة غير مستقرة نتيجة الاحتلال وفشله في معالجة الأوضاع معالجة صحيحة.

3-4 محددات السياسة الخارجية الروسية تجاه المملكة العربية السعودية

تحاول روسيا تطوير علاقاتها مع الدول العربية الإسلامية بهدف توسيع نفذها في المنطقة يخدم مصالحها. وتحاول التقرب من إيران ومن الدول العربية بخاصة الخليجية، وذلك من خلال الاستعداد لبيع الأسلحة وإقامة المفاعلات النووية ذات الأغراض السلمية. (العزي، 2000، ص98)

تريد روسيا إقامة علاقات طيبة مع المملكة العربية السعودية، لكن أوساطاً روسية كثيرة تتهم السعودية بدعم المقاتلين الشيشان ضد الجمهورية الروسية، وأنه لولا الأموال السعودية لما تمكن الشيشان من مواصلة القتال. كما ترغب روسيا في رفع أسعار النفط، لكن السعودية تتعاون مع أمريكا والدول الغربية من أجل استقرار السوق النفطية. إن رفع أسعار النفط غير ملائم لا لأمريكا ولا للسعودية لأن إيران ستصبح أقدر على الاندفاع في برامجها التسليحية، وروسيا أقدر على إقامة سياسة خارجية فعالة على حساب الولايات المتحدة.

إن النفوذ الأمريكي في المنطقة العربية الإسلامية واسع وممتد، والمصالح الأمريكية متشعبة ومتنوعة، وتحاول أمريكا إبقاء المنطقة بعيدة عن أي نفوذ آخر

وروسيا تعلم أن الاقتراب من المنطقة عبارة عن استفزاز، وهي لا تريد الدخول في معارك دبلوماسية أو غير دبلوماسية قد لا تكون مستعدة لها مع أمريكا. (العزي، 2000، ص23)

تحاول روسيا إقامة علاقات في المنطقة تحقق لها بعض اهتماماتها ومصالحها. والعلاقات الدولية لا تنفصل عن المصالح سواء المادية أو المعنوية. نستثني بداية العنصر الأيديولوجي كمحرك أو دافع للسياسة الروسية، فتلك الأبعاد الأيديولوجية التي كانت تنطلق منها السياسة السوفييتية سابقاً لم تعد موجودة، حيث وروسيا تقف ضد مقاومة الشيشان وتصفها بالإرهاب، وهي ترغب في الحصول على تأييد الغرب وإسرائيل في حربها على المقاومين الشيشانيين. (العزي، 2000، ص25)

أبعاد الاهتمام الروسي بلعب دور مؤثر في المنطقة العربية والخليج العربي:-

تهدف روسيا إلى رفع مستوى العلاقات مع المسلمين إجمالاً لما لذلك من تأثير على المسلمين في المناطق الروسية الجنوبية، هناك حركات إسلامية في روسيا تحاول الانفصال، وهي تسبب مشاكل كثيرة ومرشحة لاستنزاف طاقات اقتصادية ومالية كبيرة. وتعتقد روسيا أن إقامة علاقات طيبة مع الدول العربية والإسلامية سيخفف من هذه المشكلة، وربما يقضي عليها. لكن على روسيا أن تحرص على التوازن في علاقاتها بحيث لا تبني علاقات مع الأنظمة وتنحي جانباً العلاقة مع التنظيمات الجهادية.

محاور اهتمام روسيا بالمنطقة العربية (الشيخ، 2006، ص66)

1- الاهتمام الروسي بحماية حدودها الجنوبية لأن الجمهوريات الإسلامية أصبحت مستقلة وتشكل مناطق انطلاق للحركات الانفصالية الروسية، فتبلغ نسبة المسلمين في روسيا حوالي (25%)، ومن المتوقع أن تزداد هذه النسبة بصورة ضخمة حتى عام 2050 بسبب التناقص في الزيادة الطبيعية للروس من أصل إسلامي، وتزايد نسبة المسلمين بسبب التكاثر السكاني والهجرة من البلدان الإسلامية المجاورة، المسلمون يزدادون وعيا بشؤونهم، وارتفعت أعداد المساجد

في روسيا إلى حوالي (8000) بعد أن كانت حوالي (1000) مع انهيار الاتحاد السوفييتي.

هناك مبالغة في تضخيم التزايد السكاني للمسلمين من قبل بعض الكتاب، لكن يبقى خطر الحركات الانفصالية قائماً، ويتزايد مع تزايد السكان المسلمين. لكن من الضروري الانتباه إلى أن هدوء المسلمين مرتبط بسياسة روسيا فيما يتعلق بعدالة توزيع الثروات والسلطة، وليس بالضرورة برغبة المسلمين في التمرد بلا سبب.(العزي،2000)

2- تتطلع روسيا إلى المنطقة كمصدر مهم لتصدير الأسلحة خصوصاً، وأن دول المنطقة تنفق أموالاً طائلة على التسليح، والغرب بخاصة الولايات المتحدة يحتكرون سوق الأسلحة، فهل تستطيع روسيا إحداث اختراق؟ وأغلب الأسلحة ليست للاستعمال الحربي، وتبقى دول الخليج تحت الحماية الأمريكية بغض النظر عن كميات السلاح الضخمة المشتراة.

3- تمثل روسيا المصدر الثاني للنفط بعد السعودية، والمصدر الأول للغاز، وتشكل صادراتها من الصنفين (65%) من مجمل الصادرات الروسية، لقد بنت روسيا آمالاً كبيرة على ارتفاع أسعار مواد الطاقة لكي تستمر في برامجها التنموية، وترى أن إبقاء الأسعار مرتفعة يتطلب تعاون دول الخليج، وبالتحديد السعودية وقطر

4- ترغب روسيا في لعب دور في حل الصراع العربي الإسرائيلي لأنها تريد أن تبرز كقوة كبيرة على الساحة الدولية. وقد وجدت روسيا أن دورها على الساحة الدولية قد تقلص إلى حد كبير، وأن الدول الغربية تعمل على حصارها داخل حدودها وإضعافها اقتصادياً، والتضييق عليها من خلال ضم جمهوريات الاتحاد السوفييتي المنهار إلى الاتحاد الأوروبي وحلف الأطلسي، ونشر الدروع الصاروخية الأمريكية، وقد وجدت نفسها وهي الدولة النووية العظمى، صغيرة على المستوى العالمي، ولا تستطيع منافسة أحد حتى على مستوى مصالحها الحدودية المباشرة.

هذا ما دفعها لشن الحرب على جورجيا، ولإصـدار تـصريحات متحديـة للولايات المتحدة الأمريكية، واتخاذ إجراءات وخطوات عسكرية من شأنها التأكيـد على قوتها وقدرتها على المنافسة مثل نشر الأسطول الروسي في المتوسط، وتحليق طائرات إستراتيجية في أجواء كان يحتكرها حلـف الأطلـسي. المنطقـة العربيـة الإسلامية منطقة حساسة جداً، ويمثل الحراك الروسي فيهـا اسـتفزازاً للولايـات المتحدة مثلما يمثل استعادة لمكانة دولية تسعى روسيا بكافة الوسائل والأساليب مـن أجل اكتسابها بما تمتلكه من عناصر قوة مؤثرة في الساحة الدولية.(معمر،2000)

4-4 العوامل والمتغيرات التي أدت إلى التقارب السعودي-الروسي

لم تنعكس أحداث الحادي عشر من أيلول على تطور العلاقات السياسية بـين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية، بل أن الجانب الاقتصادي أيضاً تطـور بصورة كبيرة وملحوظة، ويمكن اعتبار الزيارة التي قام بها الأمير عبدا -آنـذاك- إلى موسكو عام 2003 نقطة تحول في مسار العلاقات على مختلف الجوانب بـين البلدين.

إن توتر العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية الـسعودية فتح المجال أمام روسيا لتعزيز علاقاتها الاقتصادية مع السعودية، إذ تسعى روسـيا لتعزيز علاقاتها مع السعودية في محاولة لإنعاش الاقتصاد الروسي من خلال كسب المستثمرين السعوديين الذين يبحثون عن فرص استثمارية في الدول الغربية، ويمكن لروسيا أن تشكل إغراء بالنسبة للمستثمرين السعوديين بسبب عدم الترحيـب الـذي تشهده السعودية بعد أحداث أيلول في العواصم الغربية، إضافة إلى الاتجاه الروسي نحو الخصخصة مع وجود أسواق كبيرة في جمهوريات الاتحاد السوفيتي الـسابق، والحاجة إلى تجديد وإعادة أعمار الكثير من المرافق الأساسية، إضافة إلى أن روسيا والتي لم تحصل على عائدات النفط الخليجي لفترة طويلة، تبدو أكثـر رغبـة فـي الحصول على نصيب ما ولو متأخر.(بن صقر،2007)

وانطلاقاً من المصلحة المشتركة بين المملكة العربيـة الـسعودية وروسـيا، وخلال الزيارة التي قام بها الأمير عبدا -آنذاك- إلى روسيا عام 2003، عرض

توظيف (200) مليار دولار سعودي في الاقتصاد الروسي، هذا العرض أعطى الروس الضوء الأخضر في العمل على إقامة مشاريع مشتركة بين الجانبين، وانطلاقاً من هذا المبدأ بدأت جهود رئيس غرفة التجارة والصناعة الروسي يفجيني بريماكوف لإرساء أسس تعاون اقتصادي جديد بين الجانبين، فشكل مجلس الأعمال العربي الروسي، وعقد المجلس أولى جلساته في موسكو من نفس العام،وتحت هذا المجلس وقعت شركة لوك أويل النفطية الروسية في عام 2004 مع السعودية عقداً للتنقيب عن الغاز في حقل (أ) في الربع الخالي ومدته 40 عاما. كما وقع الطرفان خلال الزيارة على اتفاقية للتعاون في المجال النفطي مدتها (5) سنوات، ويقدر حجم الاتفاقية ب(25 مليون دولار) تهدف إلى تنفيذ مشاريع مشتركة من شأنها ضمان استقرار أسعار النفط، وتعد هذه الاتفاقية مهمة جدا بسبب احتلال البلدين المركزين الأولين في قائمة البلدان المصدرة للنفط في العالم، وفتحت الاتفاقية المجال أمام شركات الطاقة الروسية العملاقة مثل شركة غاز بروم للدخول في شراكة استثمارية مع المملكة العربية السعودية.(الشيخ،2006)

وفي مجال التعاون الاقتصادي بين روسيا ودول الخليج العربي، عقد أول مؤتمر في جدة في عام 2003 بمشاركة رجال أعمال من بلدان مجلس التعاون الخليجي و روسيا، وتطرق المؤتمر إلى توسيع العلاقات التجارية والاستثمار الصناعة الأساسية مثل البترو كيمياويات وتكرير النفط والغاز والمعادن والأغذية والأدوية والكهرباء والماء، وقد وصف عبد الرحمن العطية الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي هذا المؤتمر ببداية الانطلاقة نحو شراكة اقتصادية شاملة مع روسيا على المدى الطويل. كما أن تنامي التعاون الاقتصادي مع روسيا يمكن أن يحدث توازنا في العلاقات الاقتصادية مع البلدان الغربية الأخرى، ويفتح الباب أمام الأنشطة الاقتصادية السعودية في المناطق المسلمة في روسيا، ومن جهة أخرى ستدفع عملية إقامة روابط قوية مع السعودية إلى تحسين وضع روسيا في المنطقة. (بن صقر، 2007، ص 46)

وخلال الزيارة التي قام بها سيرجي لافروف وزير خارجية روسيا إلى السعودية في أيار 2006 ومن خلال المباحثات التي أجراها مع الجانب السعودي،

تطرق إلى سبل تعزيز العلاقة بين الجانبين عن طريق جـذب الاسـتثمارات إلـى الاقتصاد الروسي من خلال الجمع بين التكنولوجيا الروسية والموارد المالية لبلـدان الخليج العربي لتنفيذ مشاريع مشتركة، مشيراً إلى أن هنالك العديـد مـن مـشاريع التعاون، كما أشاد بتأييد خادم الحرمين الشريفين لإنشاء البيت العربي الروسي، كما بحث الجانبان العديد من الجوانب الثقافية والتعليمية والإنسانية ملمحا إلى أن روسيا قدمت للمملكة هذا العام (15) منحة دراسية وهي ماضية في تقديم الدراسـية، كمـا ويوجد في المملكة عدد من الطلاب الروس. (الشيخ، 2006، ص71)

كما أن زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى السعودية في 11 شـباط 2007 تعد نقطة تحول كبيرة في مسار العلاقة بين الجانبين، إذ فتحت هذه الزيـارة أفاقا جديدة للتعاون وتم التوقيع خلالها على العديد من الاتفاقيات من ضمنها اتفاقيـة تجنب الازدواج الضريبي بشان الضرائب على الدخل وعلى رأس المـال، ولمنـع التهرب الضريبي، كما أبرمت مذكرة تفاهم للتعاون بين بنك الـشؤون الاقتـصادية الخارجية وبنك الصادرات والواردات في روسيا مع الصندوق الـسعودي للتنميـة، وأبرمت مذكرة أخرى للتعاون في المجال الثقافي، وتم التوقيع على اتفاق في مجال النقل الجوي.

وتشير الأرقام إلى حدوث قفزة نوعية في حجم التبادل التجاري بين البلدين، إذ ازداد حجم التبادل التجاري من (332) مليون ريال (87.78 مليون دولار) فـي عام 1999 إلى نحو 1545 مليون ريال (408.51 مليون دولار) عام 2005. وقال بوتين آن روسيا والسعودية هما الدولتان القياديتان في مجال تـصدير الـنفط، وان هنالك لغة تفاهم مشتركة في هذا المجال، ودعا إلى تطوير التعـاون بـين البلـدين ليشمل مجالات أخرى مثل المواصلات ووسائل النقل والتقنية، كما تم التوقيع علـى اتفاقية تنص على إطـلاق 6 أقمـار اصـطناعية سـعودية الـصنع للاتـصالات والاستشعار، وقال بوتين "انه يرى إمكانية تعاون مع السعودية في مجـال الطاقـة النووية " بعدما آثرت دول مجلس التعاون الخليجي نهاية العم 2006 إنشاء برنـامج نووي سلمي، وأكد الملك عبدا "أن المملكة تمد يدها لمصادقة روسيا وتأمل الخير والوفاء من الأصدقاء". (الشرق الأوسط، 2006/7/16)

العوامل التي أدت إلى التقارب السعودي الروسي:

العوامل التي أدت إلى التقارب بين الدولتين وأهمها: (جبر، 2007)

1-القضية الفلسطينية ومستقبل خارطة الطريق وذلك لانتقال الرياض إلـى مكانـة متقدمة كلاعب رئيسي في نظر الدبلوماسية الروسية بعد الإعلان عن المبـادرة العربية السعودية لإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي.

2-التنسيق بين البلدين حول الأوضاع في العراق ما بعد حرب الخليج الثالثة وذلـك في ظل اقتراب إعادة إنتاج العراق لنفطه بكامل طاقته بطاقة تصل إلى 4 مليون برميل يومياً وقد أثر ذلك على توازن أسعار النفط ودور المملكة وروسيا كأكبر منتجين للنفط في العالم وتأكيدهما على وحدة أراضي العراق.

3-عدم استخدام النفط كسلاح وأداة للنزاع بين التي الدولتين، وذلك لإعلان وزيـر خارجية المملكة العربية السعودية سعود الفيصل من موسكو منـذ عـام عـدم استخدام المملكة النفط كسلاح لأنه ليس أكثر من سلعة.

4- تبلور لغة مشتركة واضحة المعالم تجاه ما يسمى بالإرهاب.

أصبح التقارب بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية محور اهتمام للسياسة الخارجية السعودية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (2001)، من أجـل خلق التوازن في المنطقة والتنويع في العلاقات وإعادة تعـدد الأقطـاب الـسياسية الدولية، ورغم ما تم إنجازه إلا أنه يبقى أمام موسكو والرياض الاتفاق على آليـات فعلية لترجمة عبارات الترحيب الدبلوماسية وترتيب أسعار النفط إلى مستوى أرقـى من التفاعل بين واحدة من أهم دول المنطقة العربية وواحدة من أهم اللاعبين علـى مسرح السياسة العالمي من أجل مصلحة البلدين، واستشرافاً لآفاق التعاون المستقبلي الواعد بالكثير من أوجه التعاون والحافل بالكثير من المفاجآت على صعيد المتغيرات السياسية الإقليمية والدولية. (زولوبين، 2004، ص 19)

ترى المملكة العربية السعودية أن الشرق الأوسط يواجه مهمة بناء تكتل قوي يبسط نفوذه على المنطقة، أي إيجاد آليات تنفيذية فاعلة لـشبكة متطـورة للأمـن العربي، ومن خلال مبادرته لهذه العملية تؤكد السعودية أن السير في هـذا الاتجـاه

يتجاوب مع مبادئ القانون الدولي وأصوله، ويستجيب بالقدر الكامل لمـصالح دول المنطقة، والعالم، والولايات المتحدة بالدرجة الأولى.

إن المملكة العربية السعودية وهي تمارس التحويلات الداخلية وتدعو لفكـرة إصلاح الوضع العربي إنما تسعى إلى بناء عالم "متعدد المراكز"، تغـدو المنقطـة العربية والإسلامية جزءا لا يتجزأ منه، وفي إطار هذه المنطقـة تحـتفظ المملكـة بموقعها "كمركز قوة"، ومن هذا المنطلق يتحول تطوير العلاقات مع "مراكز القـوة" الأخرى في العالم المعاصر إلى اتجاه يحظى بالأولوية تقريباً في السياسة الخارجية السعودية، ومن تلك المراكز بالطبع روسيا التي تعتبر نفسها دومـا مركـزا للقـوة كالمراكز الأخرى. وأكد وزير خارجية المملكة العربية الـسعودية الأميـر سـعود الفيصل أن روسيا ستبقى لاعباً هاماً في العلاقات الدولية، وأن دورها في المـستقبل على الصعيد الدولي سيكون أكثر تأثيراً. ومن هنا تنبع ضـرورة تغييـر الموقـف العربي العام حيال روسيا. فالدول العربية لا تستطيع أن تتجاهل روسيا بعـد الآن. صحيح أن تفكك الاتحاد السوفيتي بات سبباً للخلل في توازن القوى العالمي، ولكـن العلاقات مع روسيا التي كانت إيجابية دوما بالنسبة للعرب يجب أن تحتـل مكانهـا اللائق في منظومة الاتصالات الدولية التي تبنيها الأقطار العربية(أحمد، 2003).

شهدت روسيا في نهاية العقد الأخير من القرن العشرين، وبداية العقـد الأول من القرن الحادي والعشرين مرحلة التبدلات الداخلية الجديـة. ويـرى البـاحثون الغربيون الذين تعمقوا في دراسة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الداخلية في روسيا للفترة 1993-1999م أن هذه الفترة هي فترة "تدمير الدولـة الروسـية والعودة إلى الإقطاعية" بقدر ما، إلا أن الموقف في بداية القرن الجديـد، وحـصيلة نشاط الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين يبدوان على نحو آخـر تمامـاً. فـإن الخطوات الأولى التي قام بها بوتين تدل على أنه عقد العزم على وقف خراب الدولة الروسية، وتنقية الجو داخل البلاد، وتقوية مواقع روسيا في السياسة الخارجية، وهو أمر لا يقل أهمية عما سواه. ولا تنحصر القضية في تقليص دور مجموعات النفـوذ الاقتصادية (التي لنشاطها طابع سياسي لا جدال فيه) في البلاد، التي توصـف فـي روسيا بأنها "الأوليجاركية" المالية، بل تشمل كذلك زعماء الأقاليم الـذين انتهـزوا

غياب الاستقرار في العاصمة الروسية، وسعوا إلى تقليل تبعيتهم لسلطة "المركـز". وكان تعديل المجلس الأعلى للبرلمان الروسي-مجلس الاتحاد الفيـدرالي، وتطبيـق سياسـة "الابتعـاد المتـساوي" ، وتـشكيل بنيـة سياسـية حزبيـة- حكوميـة قوية.(جبر،2007)

ولا يقل عن ذلك أهمية جانب آخر في نشاط الرئيس الروسي السابق بوتين. فقد بدأت روسيا طريق النمو الاقتصادي المطرد والاستقرار الـسياسي. وبـالطبع أخذت تستعيد مكانة الدولة الكبرى التي لها مصلحة في "تعـدد مراكـز" منظومـة العلاقات الدولية في عهد شمولية العالم المعاصر. وباتت المؤسسة السياسية الروسية أكثر لبرالية ودعوة لبناء دولة قوية. وفي هذه الظروف أخذت تبـدي مزيـدا مـن الاهتمام بالشرق الأوسط، والعالم العربي، معتبرة هذه المنطقة أحد المراكز الهامـة في منظومة العلاقات الدولية الجديدة.(زولوبين،2004)

وتدل السياسات الروسية في هذا الاتجاه على أن روسـيا تجـاوزت إطـار التوجهات النظرية الضيقة التي احتوتها "مبادئ" سياسـتها الخارجيـة، فالعـالم ذو القطب الواحد غير مقبول بالنسبة لروسيا، كما أشـار سـيفغيني بريمـاكوف، لأن "تفاوت تطور الدول فيه سيتجلى في معظم الأحوال بأشكال تناحرية". ولـذا يتعـين على روسيا أن تطور العلاقات المتعددة الجوانب والأطياف مع "جميع مراكز العالم المعاصر الريادية، وجسد بريماكوف هو من أبرز الأخصائيين الروس في شـؤون العالم العربي وجهة نظر المؤسسة السياسية الحالية مؤكداً أن الولايات المتحدة هـي أحد تلك المراكز. وقال: " إذا انتهجت الولايات المتحدة سياسة التكيف لآفاق العـالم المتعدد الأقطاب، وهي آفاق واقعية، وإذا كفت عن رأيها بأنها قادرة ويجب أن تثبت بوجودها في أهم قضايا الاستقرار والأمن الدولي، وتخلت عن وضع القواعد بصورة وحيدة الجانب لسلوك الدول على الصعيد الدولي، فإن روسيا يمكن أن تكون شريكاً أميناً لها.

إلا أن أفعال الولايات المتحدة في أفغانستان، وفي شـأن التـسوية العربيـة الإسرائيلية (الفلسطينية الإسرائيلية)، وفي العراق خاصة لا تدل دومـا علـى أنهـا مستعدة للعمل وفق هذا المخطط.(كرستياني، 2007، ص 12)

العقبات التي تعترض التعاون الروسي السعودي:

تقف مجموعة من المعوقات التي تحول دون تطوير العلاقات بين البلدين

1- شعور الرياض أن هناك أحزاباً في روسيا لا ترغب في تطوير علاقات بين البلدين وسبب ذلك نفوذ اللوبي الصهيوني في أجهزة الدولة الروسية لاستغلال قضية الشيشان وتورط بعض المتطرفين السعوديين فيها من أجل إيجاد جو معادٍ لدى الرأي العام والإدارة في روسيا.

وقد دأب اللوبي الصهيوني بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م شن حملة إعلامية مكثفة من أجل تشويه صورة الرجل المسلم والعربي في روسيا مركزاً على السعودية باتهامها برعاية الإسلام المتعصب في العديد من مناطق التوتر العالمي آخذين في اعتبارهم الخطوات المتتالية على طريق التقارب الروسي السعودي الذي يهمهم إعاقته ومنعه، وليس أدل على ذلك عندما هبطت الطائرة الروسية المختطفة في مطار المدينة المنورة في مايو 2001م إذ أخذ الإعلام الروسي بالحديث عن تورط سعودي في العملية وخصوصاً قناة (NTV) وبعدما قامت الوحدات الخاصة السعودية باقتحام الطائرة أخذت وسائل الإعلام الروسي بالحديث عن عدم كفاءة القوات الخاصة السعودية وفشله واتهامه بالتسبب في مقتل الموظفة الروسية، وطالبت بمحاكمة الكوماندوس وإقصاء قائد العمليات، ما دفع محطة (ORT) الحكومية إلى الإشادة بدور حكومة الرياض وشكرها. (عبد العليم، 2001، ص52)

2- عدم انتقال مرحلة التفاهم المشترك إلى مرحلة التنفيذ الفعلي للتعاون بصورة تشبه الحوار مع الذات، فمثلاً نجد أن السفارة الإسرائيلية بموسكو تضم طاقماً متكاملاً من الدبلوماسيين والمستشارين والخبراء والقائمين على ملحقاتها المتنوعة، بينما السفارة السعودية ومعها السفارات العربية بموسكو لم يتوفر لها بعد ملحق تجاري أو إعلامي أو ثقافي.. الخ. (الشيخ، 2006، ص 63)

3- الحملات على المستوى الإعلامي كما هو معروف، فالإعلام الروسي شن خلال حرب الشيشان الأولى (1964-1996م) والثانية (1999-2001م) حرباً معلنة على الأيديولوجية السعودية واتهام مفكريها الرياض بالأصولية، وتصنيفها كمصدرة للإرهاب الذي تجسد على الأراضي الجنوبية لروسيا في الشيشان

وداغستان مؤدياً إلى انفجار الأفكار الوهابية على الأراضي الروسية، وقد وصل الأمر إلى اتهام بعض كتاب روسيا السفارة السعودية بموسكو بأنها مركز لـ دعم المتطرفين الإسلاميين في روسيا في نهاية التسعينات من القرن العشرين.

4- التشكيك الروسي في المنهج السياسي للمملكة العربية السعودية لارتباطه بعلاقة إستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية، مما يؤدي إلى إضعاف فرص تطور علاقات إستراتيجية بين الطرفين، وكذلك الموقف الروسي من البرنامج النووي الإيراني وتزويد إيران بالأسلحة المتقدمة.

الفصل الخامس

استراتيجيات التعاون بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي

تعتبر روسيا الاتحادية المملكة العربية السعودية شريكاً واعداً في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاستثمارية. فالمملكة تمتلك قدرات مالية واقتصادية كبيرة. ويبلغ ناتجها الوطني الإجمالي ربع الناتج الوطني الإجمالي لجميع الدول العربية مجتمعة، كما أن روسيا والمملكة العربية السعودية من أكبر منتجي ومصدري النفط في العالم، وتمارس المملكة العربية السعودية دوراً متزايداً أكثر فأكثر في الشؤون الإقليمية والدولية.(الشرق الأوسط، 2001/2/12)

شهدت العلاقات السعودية - الروسية تطوراً ملحوظاً ومثيراً للتساؤلات، وأيضاً مثيراً للقلق لدى الغرب وواشنطن، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول العام 2001 حيث ظهر التفاهم والتنسيق والتعاون المتبادل بين البلدين في كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية وحتى الثقافية والدينية وغيرها، ومن مظاهر هذا التعاون في الآونة الأخيرة المناقصة الكبيرة التي فازت بها شركة «سكك الحديد الروسية» في كانون الثاني 2002 بأكبر مشروع لمد خطوط سكك حديد في المملكة، وهي المناقصة التي نافست فيها شركات سعودية وأجنبية كبيرة، كما تعمل الآن كثير من شركات النفط والغاز الروسية الكبيرة مثل «لوك أويل» وشركة «ستروي ترانس غاز» في قطاعات الطاقة السعودية وبحجم أعمال كبيرة.

وفي زيارته لموسكو ناقش ولي العهد السعودي الأمير سلطان بن عبد العزيز مجالات التعاون العسكري، واطلع على أحدث التكنولوجيا العسكرية الروسية، أما زيارة وزير الخارجية السعودي لموسكو فقد عكست مدى ما وصلت إليه هذه العلاقات من ثقة عالية، فقد قدم الوزير السعودي للرئيس الروسي بوتين رسالة من الملك عبد ا بن عبد العزيز تتضمن عرضاً لعقد اتفاقية تعاون واسعة النطاق بين البلدين، ورحب بوتين بالعرض أكبر ترحيب، وخرجت الصحف المستقلة في روسيا تتساءل عن سبب الإقبال السعودي الكبير على روسيا، لدرجة أن كبرى الصحف الروسية «كوميرسانت» كتبت «من دون إسناد لمصدر رسمي» تقول «إن السعودية تسعى إلى إقناع روسيا بالتخلي عن التعاون مع إيران عارضة

عليها عروضاً مغرية، منها رفع حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى خمسين مليار دولار سنوياً لتعوضها عن خسائرها من قطع تعاونها مع إيران»، ولكـن الجانـب الروسي لم يؤكد هذه المعلومات. (الرشيدي، 2001، ص، 52)

لم يؤد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام 1991 إلى التنوع في خيارات السياسة الخارجية لروسيا تجاه دول الخليج العربية فظلت علاقات روسيا مـع دول مجلـس التعاون الخليجي خلال السنوات الأولى من تسعينات القرن الماضي على مـستواها المتدني، وهو ما أدى إلى إضعاف وضع روسيا في منطقة الشرق الأوسط وخاصة في منطقة الخليج العربي، ولم تجد علاقات روسيا مع الوطن العربي دفعة قوية نحو التطور حتى حاول عام 1996 عندما تقلد يفيركيني بريماكوف وزارة الخارجية وهو رجل معروف بميوله العربية واعتقاده الراسخ بأهمية المنطقـة العربيـة بالنـسبة لروسيا،ومنذ تقلده لمهامه عمل بريماكوف على توسيع علاقـات روسـيا مـع دول الخليج وبالمثل ومنذ انتخابه في إذار 2000 أولى الرئيس الروسي فلاديمير بـوتين اهتماماً خاصاً لمسألة إقامة علاقات وروابط وثيقة مع الـدول الخليجيـة.(الـشيخ، 2000)

1-5 الإستراتيجية الروسية تجاه المملكة العربية السعودية

يشكل العامل الجغرافي احد المحددات الرئيسة للإستراتيجية الروسية إذ تعـد روسيا اكبر دول العالم من حيث المساحة، وعليه تسعى روسيا لإقامة علاقات جيدة مع دول الجوار بغض النظر عن توجهات النظم السياسية فيها. لاسيما بعد وصول نفـوذ حلف الشمال الأطلسي إلى الدول التي كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي .هذا من جهـة ومن جهة أخرى إن روسيا تحدها دول إسلامية وهو ما يدفعها نحـو مراقبـة الـدول الإسلامية ودور الإسلام فيها وقد بدأت أيضاً تنظر إلى منطقة الخليج العربي من هـذه الزاوية. (فندي، 2010)

المصالح الوطنية

تعتبر المصالح الوطنية للدول الكبرى الأساس في أي تعامل فهي تسعى دائمـاً إلى حماية هذه المصالح التي تشكل عنصراً محدداً في السياسة الخارجية .وهذه المصالح

غالباً ما تشمل أموراً تملكها الدولة وتسعى للحفاظ عليها أو تحسينها، لذلك فان الحكومة القائمة لن تتردد في أن تعمل أي شي من اجل المحافظة على مكانتها ونفوذه،ا وقد كان هدف الرئيس الروسي السابق فلادمير بوتين ومنذ توليه السلطة عام 2000، هو إعادة بناء الدولة الروسية التي كانت تهددها قوى التفكك، وتعزيز قبضة موسكو في المناطق التي تكون فيها الجماعات الإسلامية ذات نشاط أكبر خصوصاً في الشيشان وتترستان، كما أن هناك تخوف من سيناريو الوضع الأمني في منطقة الشرق الأوسط وتداعياته قد تضر بمنطقة القوقاز واسيا الوسطى، وربما روسيا نفسها نتيجة لذلك تطرح رؤاهـا وتسهم بجهودها الدبلوماسية لتحقيق الاستقرار في المنطقة. (الطويسي، 2006)

يعد العنصر الأمني جزءا مهما من المحددات في العلاقات العربية الروسية .لذا فأن روسيا ترى في التحديات التي تمثلها الجماعات الإسلامية داخل روسيا نفسها أهـم تهديد لأمنها وفي هذا السياق تبرز قضية الشيشان من جهة وحقيقة وجـود نحـو(25) مليون مسلم يعيشون داخل روسيا من جهة ثانية. (الخليل، 2009)

لذلك يعمل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين على البحث عن دور أكثر فعالية في منطقة الخليج العربي، وإقامة علاقات ودية مع دولة مثل المملكة العربيـة الـسعودية والتي يرى إنها ذات تأثير كبير على هذه الجماعات، من هنا نجد أن المصالح الوطنية السياسية والأمنية الروسية يتطلب تحقيقها قيام مزيد من التعاون في مختلف الجوانب مع المملكة العربية السعودية.

العامل الاقتصادي

تكتسب منطقة الخليج العربي أهمية اقتصادية إلى جانب أهميتها الجغرافية، مما جعلها تحظى باهتمام الدول الكبرى ولاسيما روسيا التي تسعى إلى استمرار اسـتقرار أسعار النفط من خلال إقامة حوار منتظم حول قضايا الطاقة مع الدول الخليجية، والتي تجد فيها روسيا أيضا سوقًا لمنتجاتها الصناعية والعسكرية .فـضلاً عـن اسـتقطاب الاستثمارات وبخاصة المملكة العربية السعودية. أصبح العامل الاقتـصادي محـدداً رئيسياً في العلاقات الدولية، وتحاول روسيا تطوير علاقاتها مـع الـسعودية فـي مختلف المجالات وزيادة حجم التبادل التجاري والتعاون في مجـال الطاقـة لـدعم اقتصادها وتأكيد مكانتها الدولية. (عبد العاطي، 2009)

المتغيرات الدولية

يدخل التنافس الدولي ضمن محددات الإستراتيجية الروسية وهـذا مـا يفـسر محاولة إعادة دور روسيا كقوى عظمى، لاسيما بعد احتلال العراق الذي دفعها للعـب دور أكثر أهمية في الشرق الأوسط، وهنا لا تعني العودة إلى الحرب الباردة في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية. بل من اجل تعزيز دورها في الخارج، وخـصوصا فـي منطقة الخليج العربي التي تعتبر احد أهم مجالات توازن القوى العالميـة. (الـشايب، 2004)

2.5 الإستراتيجية السعودية في علاقاتها مع الاتحاد الروسي

تتبع المملكة سياسة برجماتية تبتعد قدر الممكن عن الطابع الأيديولوجي الذي ميز طبيعة السياسة الدولية بوجه عام في حقبة الحرب الباردة. وتدرك المملكة أن لا ثوابت في طبيعة التفاعلات الإقليمية والدولية، خاصة وأن ثمة العديد من التقـارير تشير إلى أن العالم قد يكون مقبلاً على حرب باردة جديدة قوامها المصالح المشتركة للدول. (جاسم، 2009)

الإستراتيجية السعودية

إن تنويع المملكة لخياراتها الدولية أيضاً ينبع من حقيقة أنه برغم العلاقـات المتميزة بين المملكة والولايات المتحدة، إلا أن الأخيرة لا تزال توجه أصابع الاتهام إلى الرياض وتصفها بعدم الجدية في مكافحة الإرهـاب، ولا تـزال تـتهم بعـض المؤسسات الخيرية في السعودية بتمويل الجماعات المتطرفة، فضلا عـن الانتقـاد الدائم لملف حقوق الإنسان. (الربيع، 2009)

المستوى الأمني

ولعل اعتماد السعودية خياراً دولياً لا أحادياً يأتي من حقيقة قناعـة المملكـة بأهمية تعدد الأطراف الفاعلين في أمن الخليج وعدم ارتهانه لـلإرادة الأمريكيـة، سواء كان ذلك من خلال تعدد الاتفاقات الثنائية أو إيجاد آلية للأمـن الجمـاعي، إذْ تلتقي تلك القناعة مع الرؤية الروسية بهذا الشأن التي عبرت عنها مبـادرة روسـية طُرحت في نهاية التسعينيات تتضمن إنشاء منظومة دفاع جماعي لبلـدان الخلـيج

العربي، والتي أكد عليها عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية في تصريح لصحيفة الثورة اليمنية 2007/2/9 "أن المبادرة الروسية التي طُرحت في التسعينيات لا تزال حيوية".(الإمام، 2008)

ومن الثابت أن المملكة تسعى منذ انسحاب القوات الأمريكية من أراضيها في أعقاب الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 إلى تنويع خياراتها الأمنية، وبالتالي يمكن الاستفادة من الإمكانات الروسية في أمرين، أولهما دعم روسيا للتوجه الخليجي عموماً، والسعودي على وجه خاص لامتلاك طاقة نووية لأغراض سلمية. وفي هذا الإطار قال بوتين: "إن موسكو مستعدة للتفكير في فرص للتعاون مع الرياض من أجل إنتاج الطاقة النووية لاستخدامات مدنية". ولا شك أن لروسيا خبرة ممتدة في هذا الشأن منها بناء عدة مفاعلات في إيران، وثانيهما إمكانية استفادة المملكة من نظام الصواريخ الروسي العابر للقارات، حيث حذّرت روسيا خلال شهر فبراير 2007 من أنها "تريد تعزيز نظامها للصواريخ العابرة للقارات ردا على الدرع المضادة للصواريخ التي كانت الولايات المتحدة أقامتها في بولندا وتشيكيا".(نصار، 2009)

حفظ المصالح الإستراتيجية

ولأن روسيا واجدةٌ من أهم أسواق النفط العالمية، وأكبر منتج له من خارج منظمة الأوبك، وأكبر منتج للغاز الطبيعي في العالم، ولها تأثير بالغ على حركة أسواق الطاقة، فإن من أهم أهداف المملكة أن تحافظ على مصالحها في مجال الطاقة بوصفه مصلحة إستراتيجية عليا، كما في مجال الأمن.

وإذا كانت قضية الطاقة تهم روسيا بالدرجة الأولى، وترى أنها أضحت السبب الرئيسي للصراعات في العالم حالياً، الأمر الذي دفع بها إلى التحرك لحماية مصادرها في منطقة الشرق الأوسط إدراكا منها أن توسع الناتو شرقا يعد أحد أهم آليات تطويقها، فإنه على الجانب الآخر هناك رغبة سعودية في تأمين هذا المورد، وألا يكون رهنا بطرف دولي واحد، وإنما تعدد الأطراف الفاعلة، وقد عبر عن هذا وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل في معرض إجابته عن سؤال بشأن أهداف زيارة بوتين للمملكة، حيث قال: "هدف الزيارة ليس إرساء توازنات جديدة في

النظام الدولي؛ لأنه لا يمكن لزيارة بوتين أن تحدث تغييرا في خريطـة التوازنـات العالمية"، ولكنه أضاف "أن روسيا تظل دولة مهمة في العلاقات الدولية.. وسـيكون دورها مؤثراً في المستقبل".(يوري، 2008)

التعاون بين الجانبين في مجال الطاقة

الأول: ما أشارت إليه بعض المصادر إلى توصل الجانبين إلى اتفاق مشترك يقضي بقيام روسيا بخفض معدلات إنتاجها من النفط الخام مقابل السماح للـشركات الروسية في استثمار عدد من المشاريع النفطية داخل المملكة، وهو اتجاه قد بدأ منذ منحت المملكة شركة "لوك أويل" الروسية حق التنقيب عـن الـنفط بالربع الخالي في عام 2004، بعد منافسة شاركت فيها عدة شركات أمريكية وأوروبية وآسيوية.

والثاني: هو ما تردد عن وجود اقتراح لإنشاء منظمة لمنتجي الغاز علـى غـرار منظمة "أوبك"، والتي ذكر الرئيس الروسي أنها فكرة جديرة بالدراسـة ولا ضرر في زيادة التنسيق بين منتجي الغاز الطبيعي. (صادق، 2003)

وإضافة إلى البعد السابق، فإن المملكة تعمل على تنمية علاقاتها الاقتـصادية الخارجية وتفعيلها، وتعتبر الأسواق الروسية أحد أهم الأهـداف لرجـال الأعمـال السعوديين الذين كانوا يعانون دوما من الوصول للأسواق الروسية، إما بسبب عـدم كفاية المعلومات بشأن تلك الأسواق، أو بطء الاعتمـادات البنكيـة، فـضلاً عـن المعوقات الجمركية، ولعل هذا ما يفسر وجود وفد روسي اقتصادي رفيع المـستوى ضمن مرافقي الرئيس الروسي السابق بوتين خلال زيارته للمملكة، حيـث كانـت روسيا تهدف الحصول على دعم لإقامة مشروع شبكة سكة حديدية بطول (2440) مترا بقيمة مليارى دولار داخل المملكة، كما أن الزيارة مثلت فرصة سانحة لرجال الأعمال السعوديين للتعرف إلى السوق الروسية، حيث يعاني الميزان التجاري مـن خلل لصالح روسيا.

وعلى الرغم من ارتفاع قيمة حجم التبادل التجاري بين البلـدين مـن 332 مليون ريال عام 1999 إلى نحو (5,1) مليار ريال عام (2005)، إلا أن الميـزان

استمر لصالح روسيا التي تصدر للمملكة ما قيمته (1,5) مليار ريـال، فيمـا تبلـغ الواردات ما قيمته (46) مليون ريال. (نصار، 2009)

مستوى التفاعلات الإقليمية

أما على مستوى الملفات الخارجية، فإن المملكة تأخذ بعين حقيقة التفـاعلات الإقليمية الجارية، فسمة عدم الاستقرار وإمكانية نشوب النزاعات هي السائدة الآن، مما يستلزم مزيداً من التنسيق مع الأطراف الدولية بشأن القضايا الإقليمية التي تفرز تداعيات أمنية تعد بمثابة تهديد للأمن القومي للمملكة.

وهنا تدرك المملكة أهمية الدور الروسي، لأن روسيا هي أحد أعضاء اللجنة الرباعية المعنية بعملية السلام، ولها علاقات مع الأطراف الإقليمية المعنية بالعمليـة السلمية عموماً، وبالتالي أرادت المملكة استثمار النتائج الإيجابية للقاء مكة، والـذي أدى مرة أخرى للم الشمل الفلسطيني والاتفاق على تشكيل حكومة وحـدة وطنيـة، لمحاولة كسر حالة الجمود الذي أصاب العملية السلمية منذ سـنوات، والتـي كـان الغرب يقول: "إن أهم أسباب هو الخلافـات الفلـسطينية – الفلـسطينية". (الإمـام، 2008)

أما السبب الآخر، والذي يعد الأهم في هذا التوقيت تحديـداً، فهـو محاولـة الطرفين السعودي والروسي تجنب المزيد من التصعيد فيما يتعلـق بملـف إيـران النووي بطريقة سلمية، وتدرك المملكة العلاقات الوطيدة التي تربط إيران وروسيا.

وفي هذا السياق يشار إلى إيفاد روسيا إيجور إيفانوف سكرتير الأمن القومي إلى طهران لمحاولة نزع فتيل الأزمة الإيرانية، وإذا أضيف لذلك وجـود تنـسيق إقليمي سعودي إيراني حول قضايا المنطقة، فإن اللقاء السعودي الروسي يعنـي أن ثمة تنسيقا (سعودياً-روسياً-إيرانياً) لإيجاد مخرج للتوترات التي تمر بها المنطقـة، أضف إلى ذلك أن روسيا، وفي حالة قبول إيران عرضها بإجراء عمليات تخصيب اليورانيوم على أراضيها أو التوصل إلى أي نوع من التسويات المقبولة، فإن بوسعها أن تعترض أو تعوق أي قرار أمريكي داخل مجلس الأمن قد ينتج عنه أخذ تفويض دولي بالتعامل العسكري مستقبلا مع إيران، وتدرك كل من روسـيا والـسعودية أن

تداعيات قيام حرب رابعة بالمنطقة ستكون كارثية على كافة الصعد إقليميا وعالميا. (الربيع، 2009)

ولا يمكن إغفال أن المملكة، وفي إطار دورها في العالم الإسلامي، قد عززت تفاعل روسيا مع العالم الإسلامي، كما وضح في إنشاء مجموعة الرؤية الإستراتيجية العالمية الروسية – الإسلامية عام 2006، والتي تستهدف تطوير رؤية مشتركة للأزمات الإقليمية، وقبول عضوية روسيا بصفة مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي عام 2005، حيث شارك بالفعل الوفد الروسي في المؤتمر الـ 33 لوزراء الخارجية للبلدان الإسلامية في باكو بأذربيجان، فضلا عن نيل روسيا صفة مراقب لدى المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم والتربية في مطلع عام 2007. ومن شأن هذا التعاون تحسين وضع المسلمين في روسيا أولا، ومساندة روسيا لقضايا المسلمين بصفة عامة في المحافل الدولية. (جاسم، 2009)

ومع ذلك، فإن هذا الدور الروسي وهذا التوجه السعودي الجديدين لا يعنيان القدرة على استيعاب مشكلات منطقة الشرق الأوسط بشكل كبير، فروسيا لها قدرة معينة في معالجة المشكلات التي قد تواجهها في سبيل إصلاح الخلل في المنطقة، يعبر عن ذلك مستشار الرئيس الروسي بوتين بقوله: "موسكو تدرك حجم الحواجز والصعوبات التي ينبغي اجتيازها من أجل تحسين الوضع وضمان أمن المنطقة"، كما أنه لا يمكن إغفال القلق الأمريكي جراء هذه التحركات الروسية، وهو ما قد ينتج عنه تقارب روسي غربي، دعا إليه وزير الدفاع الأمريكي روبرت جيتس الذي أكد على ضرورة التنسيق بين دول حلف شمال الأطلسي وروسيا في شأن القضايا الأمنية العالمية".(الشايب، 2004)

3-5 التعاون في قضايا السياسية الإقليمية والعالمية

في ظل واقع إقليمي ودولي بالغ التعقيد أدركت المملكة العربية السعودية أن ثمة تحركا مطلوبا للتفاعل مع هذا الواقع والمشاركة في ترتيب الأوراق الإقليمية التي تمس بشكل مباشر الأمن القومي السعودي، ابتداء من تردي الأوضاع الأمنية

في العراق، مرورا بالأزمة الإيرانية التي قد تتطور إلى حرب خليجية رابعة لن تكون السعودية بمنأى عنها، وانتهاء بالأوضاع على الساحتين اللبنانية والفلسطينية .

توافقت الرؤية السعودية العالمية والتي يسعى من خلالها إلى إيجاد علاقة دولية شاملة تحت إطار التعاون الدبلوماسي المتزن مع رؤية الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين الذي أكد في وقت سابق على العلاقات الروسية العربية، حيث قال إن التناقضات بين روسيا وبعض البلدان العربية لم يعد لها وجود، وإن روسيا تتطلع إلى التعاون مع العالم العربي في جميع المجالات محل الاهتمام المشترك، وقال إن روسيا تعلن امتلاكها صواريخ منقطعة النظير بهدف تأكيد قدرتها على المساهمة في إنشاء نظام عالمي جديد مستقر ومتوازن مضيفا أن روسيا لا تطمح إلى القيام بدور دولة عظمى ولا تنوي منازعة أحد، ولكنها تملك أن تؤثر على عملية إنشاء النظام العالمي الجديد لكي يكون نظام العلاقات الدولية المستقبلي متوازناً. (الإمام، 2008)

وكانت مرحلة هامة في هذا المجال الزيارة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدا بن عبدالعزيز حين كان وليا للعهد في سبتمبر عام 2003 إلى روسيا. وبعد هذه الزيارة التي جرى في خلالها التوقيع على العديد من الاتفاقيات التي أرست قاعدة تطوير التعاون الروسي - السعودي، بلغت العلاقات السياسية والاقتصادية مستوى جديدا ونشط الحوار بين قادة روسيا والمملكة العربية السعودية. (جاسم، 2009)

علما ان مواقف الجانبين متقاربة بشأن كثير من القضايا - في مكافحة الإرهاب ودعم وإجراء "الحوار بين الحضارات" لدى معالجة المشاكل الإقليمية في الشرق الأوسط.

شهدت المرحلة قبل وبعد عام 2003 تعاوناً متبادلاً روسيا ودول مجلس التعاون الخليجي في المجالات السياسية، وتجسدت أهم جوانب مركز الدراسات الإقليمية في الاهتمام بمسألة تنسيق الموقف حول الوضع في العراق والرؤى المتعلقة بالحرب ومرحلة ما بعد الحرب، فقد اتخذت حكومة فلادمير بوتين موقفًا رافضا للحرب التي قادتها أمريكا على العراق، وهو الموقف الذي تناغم مع سياسة المملكة العربية السعودية حيال الأزمة العراقية، وقد قدمت روسيا مبادرة عقد مؤتمر

دولي حول العراق باشتراك كل البلدان المعنية والسياسيين العراقيين، كما دعمت كل المبادرات التي تتفق 2004 مع توجهاتها واشتركت في مؤتمر شـرم الـشيخ فـي تشرين الثاني الذي عقد بمصر وأيدت مبادرة جامعة الدول العربية لعقد اجتماع بين ممثلي الاتجاهات العراقية والأحزاب السياسية الرئيسة. (الخليل، 2009)

تمهيداً للوصول إلى المصالحة الوطنية وخـلال زيـارة الـرئيس الروسـي فلاديمير بوتين الى المملكة العربية السعودية فـي شـباط 2007 نـاقش الـرئيس فلاديمير مع الملك عبدا الملف العراقي حيث دعا الطرفان إلى ضرورة القـضاء على جميع مصادر العنف والمليشيات المسلحة دون تمييز، لأنه السبيل إلى تحقيـق الوحدة الوطنية بين جميع مكونات الشعب العراقي أما المـف النـووي الإيرانـي فيحتل مكانه مهمة في المباحثات بين روسيا ودول مجلس التعاون الخليجي. وذلـك بسبب القلق الخليجي الواضح، من البرنامج وانعكاساته في حالـة حـدوث حـرب أمريكية، هذا من جهة ونظرا للتأثير الروسي على إيران، خـصوصا إذا علمنـا أن روسيا هي التي تزود إيران بالتقنيات النووية من جهة أخرى، لذلك فـإن روسـيا دائماً تسعى لتطمين دول مجلس التعاون الخليجي، ويتضح ذلك من خلال تـصويتها على قرار مجلس الأمن رقم (1737) الصادر في 23 كانون الأول 2006 الخـاص ببرنامج إيران النووي. (كاراتنسكي، 2007/7/9)

وقد كثفت روسيا اتصالاتها مع ممثلي دول مجلس التعاون الخليجي، الـذين يؤيدون إيجاد حل بالطرق السلمية للقضايا القائمة والمتعلقـة بالبرنـامج النـووي الإيراني، كما التقى الموقف الخليجي الروسي بشأن ما يجري في لبنان وفلسطين. إذ تمتلك روسيا قنوات تعامل جيدة مع جميع أطراف النزاع فـي الـشرق الأوسـط، وتستطيع من خلالها العمل على تقريب وجهات نظر من اجل حل المشاكل العالقـة بين الأطراف كما أن لدول مجلس التعاون الخليجـي وخاصـة المملكـة العربيـة السعودية دوراً نشطاً جداً في معالجة الوضع في لبنان وأسهمت إسهاما بارزا فـي تطبيع الأوضاع في فلسطين. (القدس، 2009/7/30)

ودعمت روسيا التحقيق الدولي في قضية اغتيال رفيق الحريـري وصـوت ممثلها في مجلس الأمن مع القرار، وأيدت تأسيس المحكمة الخاصة في هذا الشأن.

كما تعمل روسيا من خلال مشاركتها في اللجنة الرباعية من اجل تنـشيط الحـوار الفلسطيني– "الإسرائيلي". وأكدت على ضرورة التوفيق بين الجهات الفلسطينية مـن خلال دعم الحوار بين فتح وحماس. وتدفع من اجل عقد مؤتمر دولي خاص بقضايا الشرق الأوسط. (يوريسوفنا، 2007/3/24)

لذلك تبذل دبلوماسيتها جهودا من خلال الاتصال بالأطراف المعنية من اجل عقد هذا المؤتمر، وعكست الاجتماعات المتعددة التي عقدها المـسؤولون الـروس والخليجيون خلال العامين الأخيرين حرص ورغبة الجانبين لتنسيق خطواتهم تجـاه هذه القضايا، كما أظهرت تشابه الرؤى بين دول الخليج العربية وروسيا حول مسائل متعددة مثل الحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

وقد التقى الموقف الخليجي الروسي بشأن ما يجري في لبنان وفلسطين .إذ تمتلك روسيا قنوات تعامل حسنة مع جميع أطراف النزاع في الشرق الأوسط، وتستطيع مـن خلالها العمل على تقريب وجهات نظر من اجل حل المشاكل العالقة بين الأطراف.

استثمار تراجع العلاقات الخليجية الأمريكية بعد أحداث 11 أيلول 2001

شهدت العلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي والولايات الأمريكية بعض التوترات وخاصة المملكة العربية السعودية التي تعرضت في إطار تلك التـوترات لحملة أمريكية إعلامية معادية قامت على ادعاءات بوجـود مجموعـات سـعودية متعاطفة مع تنظيم القاعدة، وتورط بعض المسؤولين في الحكومـة الـسعودية فـي عمليات دعم وتمويل جماعات وعدد من مختطفي الطائرات التي اخترقـت برجـي التجارة العالمية في نيويورك، استثمر الروس ذلك الفتور كمـا اسـتثمروا شـعور المواطن العربي المعادي للولايات المتحدة الأمريكية. (مركز الإمارات للدراسـات والبحوث الإستراتيجية، 2006) الذي يرى فيها دولـة مناهـضة لقـضايا العـرب والمسلمين من خلال مواقفها المنحازة في الصراع العربـي الـصهيوني لـصالح " إسرائيل " مرورا باحتلال أفغانستان واحتلال العراق. (فندي، 2010)

ويحاول الروس استغلال هذا الفتور وكـشف النوايـا الأمريكيـة وأهـدافها الإستراتيجية في المنطقة، وتذهب الحكومة الروسية بين الحين والحين إلى مـد يـد الصداقة والتعاون مع دول الخليج في جميع المجالات لغرض تنفيـذ الإسـتراتيجية

الروسية، ولذلك تسعى دول مجلس التعاون إلى تدعيم علاقاتها مع روسـيا، وهـو بالتأكيد ليس على حساب علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية، فهـذه علاقـات أساسية وبخاصة إن الطرف الآخر فيها هو القطب الواحد في مرحلة ما بعد الحرب الباردة. وهنا لابد من التأكيد على حقيقـة هامـة وهـي ضـرورة التمييـز بـين الإستراتيجية والتكتيك في توجهات روسيا بشأن علاقاتها القائمة والمحتملة مع دول مجلس التعاون وخاصة المملكة العربية السعودية. (يوريسوفنا، 2007/3/24)

روسيا وإمكانية الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي

سعت روسيا من أجل الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي ولـو بـصفة مراقب على الأقل. لذلك عملت على تعزيز علاقاتها مع الدول العربية والإسـلامية وخاصة بعد انضمامها إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كمراقب في عام 2005، ومما لاشك فيه أن روسيا تستثمر انضمامها إلى المنظمة في ما يتعلق بالقضية الشيشانية، والتي تستشعر روسيا اتجاهها أنها مستهدفة "بحرب إرهابية" وتعتقـد أن التعـاون السياسي الفعال مع أقطار الخليج وبالخاص المملكة العربية السعودية سيساعد علـى تكثيف الحوار بين روسيا والأمة الإسلامية. يضاف إليه ما يمكن أن تلعبه السعودية كمصدر الهام لنحو (20 مليون) مسلم روسي كونها ارض الحـرمين الـشريفين. (القدس، 2008/11/10)

عملت روسيا على عقد سلسلة مؤتمرات حول روسيا والأمة الإسلامية والذي كان آخرها في مدينة اسطنبول التركية. وعكس هذا مدى اهتمامها بتوفيق علاقاتهـا مع الأمة الإسلامية، في الوقت الذي زادت فيه حدة التـوتر والعـداء بـين الأمـة الإسلامية والغرب نتيجة لمواقف الغرب السلبية من القضايا العربيـة والإسـلامية كانت مظاهر تعاون روسيا ودول مجلس التعاون الخليجي توضحت في المجـالات الاقتصادية والسياسية والأمنية والثقافيـة وكـان مجـال الطاقـة. (كاراتنـسكي، 2007/7/9)

ترى المملكة العربية السعودية أن انعطافاً جذرياً يجري في العلاقـات بـين البلدين، وتعليقاً على بدء زيارة الأمير عبد ا أكدت جريدة "الجزيرة" الـسعودية أن للملكة مكانة خصوصية في العالم العربي والإسلامي، ولروسيا نفوذ على الـصعيد

الدولي، ولذا تغدو الزيارة نقطة انطـلاق لتكـوين شـراكة اسـتراتيجية سياسـية واقتصادية بين البلدين. وقد تجلت الأبعاد الرئيسية في لهذه "الـشراكة" بوضـوح، فالمملكة وروسيا تتوليان دور الشريكتين الأساسيتين في مـضمار ضـمان الـسلام والأمن الدولي، وهما المصدران الرئيسيان للنفط، واللاعبان الرياديان فـي مجـال استقرار أسعار النفط العالمية. بعبارة أخرى أيعني ذلك توجهاً نحو إيجاد كتلة متنفذة في إطار منظومة العلاقات الدولية الجديدة.(التركي، 2003، ص39)

أن المؤسسة السياسية في المملكة العربية السعودية في أبرز دولة في المنطقة العربية لم تعد تعتبر روسيا حالياً ثمرة غير ناضجة لتفكك الاتحاد السوفيتي. وباتت روسيا بالنسبة لهذه المؤسسة جذابة من حيث التوقعات المرتبطة بإمكانات التعامـل السياسي. ويمكن تذليل ضبابية توجهات سياستها الخارجيـة فـي اعتقـاد النخبـة السعودية لما فيه مصلحة العالم العربي والإسلامي فضلاً عـن مـصلحة المملكـة نفسها. كما باتت روسيا بنفس القدر جذابة لتلك النخبة من حيـث تطـوير التعـاون الاقتصادي الذي يمكن إطاره إزالة الغشاوة الاقتصادية التي تغطي السياسة الروسية. وفي حديثه إلى الصحف الروسية أكد الأمير عبد ا –حينذاك- أن المملكة وروسيا بلدان نفطيان كبيران، وهذا يحتم علينا التعاون، وتنـسيق نـشاطنا فـي الأسـواق العالمية، بدلاً من أن نتنافس. وهذا أمر ضروري للحفـاظ علـى تـوازن الـسوق العالمي. وأضاف أنه يعتبر روسيا شريكة وليس منافسة في ميـدان الـنفط، وفـي الميادين الأخرى.(زولوبين، 2004، ص 10)

وقد استعان كلا الطرفين السعودي والروسي في سعيه إلى التفاهم بالمصداقية القائمة على الماضي، وكان هذا الماضي هو العهد السوفيتي. فقد تحـدث الـرئيس الروسي عن علاقات التحالف بين الدولة التي تعتبر روسيا نفسها وريثة شرعية لها، وبين العالم العربي والإسلامي، وتحدث ولي العهد –حينذاك- الأمير عبـدا عـن الدور التاريخي لروسيا التي هي أول من اعترف بالدولة السعودية الجديدة. وكـان الأمير سعود الفيصل ربط بين اتصالات المملكة مع روسيا، وبين العـالم العربـي، مشدداً على الطابع الإيجابي للعلاقات العربية الروسية. وبدت هذه المصداقية أحياناً مبالغاً فيها. فالمرحلة المبكرة من العلاقات السعودية السوفيتية 1920-1930م لـم

تكن مثمرة بالقدر الكامل لا اقتصاديا، ولا سياسياً. وأحياناً أخلت تلـك المـصداقية بلوحة العلاقات بين البلدين، حينما ارتأت المملكة العربية السعودية إبـان الحـرب الباردة" المتصاعدة أن تلقي مراسليها على الـشاطئ الأمريكـي. (معمـر، 2000، ص63)

ولم يكن الجانبان أقل صدقاً وإخلاصاً في رغبتهما لوضع حد للتجربة السلبية التي دخلاها منذ استئناف العلاقات في بداية التسعينات "للتعامـل والخـصام" فـي المسائل المتعلقة بالمشكلة الشيشانية خصوصاً.

وكان يراد لطموح كلا الطرفين تطوير الاتصالات الثنائية، ومن ثـم بلـوغ التفاهم على هذا الأساس، أن يتجسد في نطاق داخلي أوسع لأفعالهما. علماً بأن تلك الأفعال تلقت بقدر كبير دفعاً خارجياً له صلة بقيام المنظومـة العالميـة للعلاقـات الدولية، بما فيها التشعب الإقليمي (العربي الإسلامي والشرق أوسطي) لهذه العملية. وفي الوقت ذاته جعلهما حل المشكلات الداخلية، وبحث البلدين عن موقعهما الخاص في هرم العالم المتعولم يسعيان إلى التعامل مع وقائع الوضـع الـدولي والإقليمـي الموجودة من السابق (سواء كان وجودها فعلياً أو وهمياً)، إلا أن المهم قبل كل شيء هو ما يجعل المملكة وروسيا ترغبان في تطـوير الاتـصالات الثنائيـة.(الحـسن، 2003)

يهدف تصحيح الأوضاع إلى حفز العلاقات المتعددة الجوانب مـع الاتحـاد السوفيتي، والصين الذي أعقب استئناف العلاقات الـسعودية الـسوفيتية (سـبتمبر 1990م) وإقامة العلاقات الدبلوماسية الـسعودية الـصينية (تمـوز1990م)، إلا أن الدبلوماسية السعودية كثفت –على نحـو غيـر مـسبوق- اتـصالاتها الـسياسية والاقتصادية مع أقطار الاتحاد الأوروبي، وكندا واليابان، وأقطار جنـوب شـرقي آسيا، وجمهورية جنوب إفريقيا. وكانت أحداث 11 أيلول 2001م، وما أعقبها مـن حملة على السعودية، والإسلام في الولايات المتحدة، وكذلك الأزمة العراقيـة التـي انتهت بالاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق في آذار 2003م، وعدم ثبات الموقف الأمريكي الشرق أوسطي، وجانبه العراقي-كما يتصور السعوديون- كل ذلك دفـع المؤسسة السياسية السعودية إلى مواصلة السير على طريق تنويـع أولوياتهـا فـي

السياسة الخارجية. وكانت زيارة الأمير –حينذاك- عبد الله إلى موسكو من أسطع الأدلة المبدئية على ذلك.(الجزيرة، 2004/2/13)

إلا أن روسيا أيضاً (بتأثير من نتائج حل الأزمة العراقية) أخذت تنوع سياستها الخارجية مثل المملكة العربية السعودية. فأقوال الرئيس الروسي أثناء محادثاته مع الأمير –حينذاك- عبد الله ساقت الدليل على أن العالم العربي يعود من جديد إلى ساحة الأولويات في السياسة الخارجية الروسية. علماً بأن تركيز الرئيس الروسي على الطبيعة الخصوصية لعلاقات الشراكة مع السعودية يعني أن المؤسسة السياسية الروسية تقيم اتصالات لأول مرة تقريباً ليس مع دولة ضعيفة وإنما مع دولة مؤثرة في النظام الإقليمي العربي. والأمير عبد الله لا يكتفي بإسناد الإصلاحات الداخلية في المملكة. فهو الرجل الذي طرح مقترحات هامة مبدئياً للشرق الأوسط، والعالم العربي، من شأنها أن ترسم –بقدر كبير- سبل تطورهما اللاحق- مبادرتي التسوية السلمية للصراع في الشرق الأوسط، والإصلاح السياسي للمجتمع العربي. وكلتا المبادرتين- لو اتخذ الجانب الروسي الموقف المناسب تجاههما- يمكن أن تصبحا قاعدة للتعاون السعودي الروسي، ولبناء أسس وجود روسيا في العالم العربي مستقبلاً. (زولوبين، 2004، ص 12)

ان المملكة العربية السعودية موطن الإسلام ويوجد فيها الحرمين الشريفين لذا فمن الطبيعي أن يكون صوت المملكة العربية السعودية مسموعاً في الشؤون الإسلامية ذات الأهمية الكبرى. وبعد أن أصبحت روسيا في عام 2005 مراقباً في منظمة المؤتمر الإسلامي أعرب الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين في رسالة خاصة عن الشكر والامتنان إلى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على دعمه في هذه القضية. وهذا يتسم بأهمية كبيرة بالنسبة إلى مسلمي روسيا الذين يشكلون نسبة (10) بالمائة من سكان روسيا. ويتلقى مئات الطلاب الروس تعليمهم في مختلف المعاهد العليا في المملكة. كما أن العلاقات بين الهيئات الدينية توطدت أكثر. (الشرق الأوسط، 2007/10/1)

4-5 التعاون الاقتصادي بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي:

تصدرت الطاقة أهم جوانب التعاون بين روسيا والمملكة العربية السعودية ولعل ذلك يعود إلى تزايد النفوذ الروسي في أسواق النفط العالمية. بعد أن احتلت روسيا المرتبة الثانية في قائمة الدول المصدرة للنفط بعد السعودية إذ تجاوزت حجم الصادرات النفطية الروسية خمسة ملايين برميل يومياً في عام 2008، الأمر الذي دعا إلى اعتبار أن روسيا يمكن أن تصبح مصدراً مضمونًا للدول الغربية المستهلكة في حال توقف أو تراجع تدفق نفط منظمة الأوبك لأي سبب كان، أصبح التعاون في مجال النفط والغاز يشكل العنصر الرئيس في المباحثات الثنائية بين روسيا ودول مجلس التعاون الخليجي، خصوصا السعودية التي كانت الأكثر رغبة في التعاون مع روسيا بدلاً من التنافس معها في أسواق النفط الدولية، وانعكست هذه الرغبة بشكل واضح من خلال اتفاق التعاون الذي وقعه الجانبان السعودي و الروسي خلال زيارة الملك عبدا (ولي العهد السعودي آنذاك) لموسكو في أيلول 2003 ومما لا شك إن تعاون البلدين في مجال الطاقة يشكل محور اهتمام لاسيما أن كلا البلدين يعدان من الدول المنتجة والمصدرة للنفط وبالتالي يمكن أن يتفقا على تنسيق سياستهما النفطية ويكونا سببا في تحديد أسعار النفط العالمية. (الطويسي، 2006)

ومن الواضح إن صياغة إطار للتعاون الوثيق بين السعودية وروسيا قد تشكل أحد مفاتيح التحكم في تحديد الأسعار العالمية للنفط. وقد برزت الرغبة الروسية في تعزيز أطر التعاون مع دول مجلس التعاون في مجال الطاقة من خلال الأجندة الاقتصادية التي تبنتها روسيا تجاه دولة الإمارات وقطر والكويت فقامت الشركات الروسية بالتوقيع على عقود بمليارات الدولارات، وفي هذا الصدد قالت صحيفة (البرافد) الروسية في عددها الصادر في 14 أيار 2003 أن شركة (غاز بروم) ستبدأ تنفيذ مشروع استثماري في قطر بقيمة (10) مليارات دولار والمتمثل في بناء خط أنابيب ومنشآت أخرى لنقل الغاز القطري عبر الخليج العربي ودولة الإمارات وعمان. (القدس، 2003/7/20)

توضح العلاقة السعودية - الروسية بطريقة مبسطة مدى تداخل وتفاعل العديد من العوامل والمؤثرات في صنع السياسة، أن تعميق العلاقات الاقتصادية

بروسيا أكثر كمدخل لتعميق هذه "الشراكة البراغماتية". كذلك زيادة النقاش السياسي بين البلدين حتى تستطيع روسيا توليد رؤية متوازنة تجاه المنطقة مما سيكون له أثر إيجابي في زيادة الاستقرار فيها. (فندي، 2010)

ازداد حجم التبادل التجاري بين روسيا والمملكة العربية السعودية في الفترة مابين سنوات (2003 – 2008) من(211.8) إلى (488.7) دولار أمريكي بلغت قيمة الصادرات الروسية (465.9) مليون دولار أمريكي، وتتألف الصادرات مـن المعادن والمنتجات المعدنية، و العلف والـورق والكـارتون والخـشب وسـيارات الشحن. (الخليل، 2009)

وصل متوسط التبادل التجاري بين البلدين خـلال الفتـرة (1998-2001م) والذي سجل عجزاً على السعودية لارتفاع معدل وارداتها من روسيا عن الصادرات (367) مليون ريال سعودي عام (1998م) ووصل إلى (377) مليون ريـال عـام (2001م) وبنسبة عجز (19%) لصالح الاتحـاد الروسـي . (الرشـيدي، 2001، ص65)

وقد زار روسيا وفد تجاري سعودي يـضم رجـال الأعمـال والاقتـصاد السعوديين وكانت الزيارة الأولى من نوعها وهدفت إلى تطوير العلاقات الاقتصادية وذلك في 6-12 يوليو 2003م وتم خلالها عقد الاجتماع الأول لمجلـس الأعمـال المشترك. (الخليل، 2009)

ويتضح أن متوسط التبادل التجاري بين روسيا والـسعودية خـلال العـشر السنوات الماضية لم يتجاوز (487.5) مليون ريال سـعودي (130 مليـون دولار) ومنذ (1995م) حتى الآن لم يصل حجم التبادل التجاري المليار ريال سعودي حيث بلغ أقصاه عام (1995م) عندما بلغ (885) مليون ريال، غير أن التبادل التجاري قد تأرجح فيما بعد، إذ بلغ أدنى مستوى له في (1999م) حيث وصـلت إلـى (331) مليون ريال فقط وتفاوت بين المستويين في (1997-1998م) بـين (420) مليـون ريال و(371) مليون ريال على التوالي وفي (2000م) بلغ (466) مليون ريال بينما كان في (2001م) (391) مليون ريال ولا تتجاوز قيمـة المـشروعات المـشتركة (9.5) ملايين ريال منها (2) مليون للمشروعات الصناعية المشتركة و(7.5) مليون

ريال للمشروعات غير الصناعية(24)، ولكن بعد زيارة ولي العهد السعودي الأخيرة فقد تم توسيع مجالات التعاون المشترك. (الرشيدي، 2001، ص70)

وقّعت روسيا والمملكة العربية السعودية اتفاقية حول التعاون العسكري التقني بين البلدين والسعودية تعتزم تنويع مصادر الحصول على الأسـلحة المـستوردة، وروسيا تملك قدرة متطورة في مجال إنتاج الأسلحة. (جاسم، 2009)

ومن هنا فان البديل الروسي يطرح نفسه بقوة خاصة ان روسيا هي المنافس الأول للولايات المتحدة في سوق السلاح وفقا للتقارير الدوليـة لعـام 2008/2009 وتحديدا تقرير معهد استوكهولم للسلام الدولي كما أنها تتمتع بميزة انخفاض الأسعار مقارنة بالسلاح الأميركي إضافة إلى أن روسيا لا تـضع شـروطا مـسبقة أو أي أيديولوجيات أو سياسات خاصة بها قبل عقد صفقات الأسلحة وإنما تراعي الأمـن العالمي والتوازن الإقليمي بين الدول ومبادئ القانون الدولي حق الدول والشعوب في الدفاع عن نفسها.

السعودية تعزز صفقة روسيا بأخرى مع الصين

أعلنت المملكـة العربية السعودية عن عزمها على شراء أسـلحة وتقنيـات عسكرية روسية فـي النصف الأول من العام 2010، بمبلغ قـد يزيـد علـى (4) مليارات دولار, حيث تـم الاتفاق بشـأن القض، ايا الفنية والمالية لغـالبية عقـود التـزويد بالأسلحة التي اتفق الجانبان على توقيعها.

وستشتري المملكة في المرحلة الأولى أكثر من 150 دبابة من طراز "T 90 C" التي تم اختبارها في الصحراء العربية وأثبتت جدارتها. وعدا ذلـك يجـري إعداد عقود لتزويد السعودية بـ 150 طائرة مروحية، 30 منها من طراز "مي - 35" و120 أخرى من طراز" مي- 17 "، بالإضافة إلى تزويد المملكة أيضا بـ ـ 250 مدرعة وعشرات قاذفات الصواريخ من طـراز "بـوك-ام 2 اي ". وقـال المسئول العسكري الروسي إن قيمة الإجمالية لهذه الأسلحة تقدر بحوالي 2 مليـار دولار.

والمملكة العربية السعودية مرشحة لان تصبح الدولة الأولـى التـي تقتنـي منظومة الدفاع الصاروخية الجديدة "اس-400 تريومف"، التي بدأ الجيش الروسـي

باستخدامها منذ بداية عام 2010، وفي حال تم التوصل مع الرياض إلى اتفاق بشان هذه المنظومة، فستزيد القيمة الإجمالية للعقود بين الطرفين عن الـ 4 مليارات دولار أميركي.

التعاون في ميدان الطاقة

يبقى أساس الشراكة السعودية الروسية يتمثل لا في تبادل السلع وإنما في المصالح المشتركة في قطاعات النفط والغاز في البلدين حيث بدأ التعاون الثنائي يتطور، وبصورة رئيسية حاليا عن طريق مشاركة الشركات الروسية في أعمال الاستكشاف الجيولوجي والتنقيب، ومشاريع استخراج النفط والغاز في المملكة العربية السعودية، وفي إنشاء شبكات أنابيب نقل النفط والغاز والبنى التحتية المتصلة بهذه القطاع، وكذلك في استخدام الدراسات العلمية والتكنولوجيات الروسية الحديثة في مجمع النفط والغاز في المملكة. (السعدون، 2001، ص99)

وإن شركة "لوك أويل" الروسية هي الرائدة في هذا الميدان الآن. فإنها تشارك منذ بضع سنوات في مشروع واسع الأبعاد لاستكشاف واستثمار حقول الغاز في الموقع "أ" الذي يقع في صحراء الربع الخالي. وأنشئت لتنفيذ هذا المشروع مؤسسة "Energy Ltd Lukoil Saudi Arabia" (الاسم المختصر "LukSar"). وشاركت في تأسيس هذه المؤسسة كل من "لوك أويل أوفرسيز" - شركة "لوك أويل" (حصتها 80 بالمائة) وشركة النفط الوطنية السعودية "سعودي أرامكو" (حصتها 20 بالمائة). وتشكل فترة الاستكشاف الجيولوجي في المشروع 5 سنوات.

وإن فترة سريان هذا العقد (40) سنة في ظل مجمل كلفة المشروع أكثر من 200 مليون دولار. وفي حالة اكتشاف احتياطي ملموس من الغاز تحصل الشركة الروسية بالإضافة إلى ذلك على حق المشاركة في تصديره. (العسلي، 2005، ص65)

وقدم أفضل تقييم لعلاقة الروس بالمشروع في الموقع "أ" أندريه كوزيايف رئيس شركة "لوك أويل أوفرسيز" إذ قال: "إننا نولي أهمية كبيرة جداً لمشروعنا المشترك في السعودية وواثقون من أن برنامج أعمال الاستكشاف الجيولوجي الواسع في الموقع "أ" سينفذ بكامل حجمه وفي الموعد المحدد وبجودة عالية مما يجعل إنتاج

الوقود في الموقع المتعاقد عليه بكميات تجارية كبيرة ممكنا".وبدأت ما يقـارب 10 شركات روسية أخرى ببذل الجهود لترسيخ أقدامها في المملكة العربية الـسعودية. فعلى سبيل المثال تنوي شركة "ستروي ترانس غاز" المشاركة في المناقصة المتعلقة بإنشاء شبكات أنابيب مختلفة الغايات في حقل حريث في المحافظـة الـشرقية مـن المملكة سيبلغ مجمل طولها 177 كم. (العسلي، 2005، ص66)

وتسعى "روس نفط غاز ستروي" للمشاركة في مـشاريع اسـتخراج الـنفط وإنشاء منشآت بنية النفط التحتية سواء في المملكة العربية السعودية أو فـي بلـدان أخرى بالشراكة مع الشركات السعودية المعنية. وأثبتت جدارتها في قطـاع الـنفط والغاز في المملكة عدة شركات روسية سعودية مشتركة. فعلى سبيل المثـال تقـوم شركة "Saudi-Russian Co. for HI-TECH" التي أسستها "روس نفط غاز ستروي" بعرض التكنولوجيات الراقية الروسية في السوق الـسعودية وتـشارك فـي تنفيـذ مشاريع في مجال صناعة النفط والغاز. (باكير، 2006، ص71)

ليس من الصائب اعتبار قطاعي النفط والغاز وحدهما يحظيان باهتمام رجال الأعمال الروس في المملكة. فإن الطاقة الكهربائية السعودية حظيت باهتمام شـركة "شبكة الطاقة الكهربائية الروسية الموحدة" ـ أحد كبار الاحتكارات الروسية. وبعثت الشركة في (كانون الأول) عام 2005 رسالة إلى وزارة الخارجية الروسية والسفارة الروسية في المملكة العربية السعودية تطلب فيها تزويدها بمعلومات حول مـشاريع التعاون مع المملكة العربية السعودية المحتملة في مجال الطاقـة الكهربائيـة. وإن الشركة على استعداد للنظر في كافة عروض الجانب السعودي بشأن المشاركة فـي تنفيذ خطط تطوير منظومة الطاقة في المملكة وحتى في المشروع الدولي لإنـشاء شبكة طاقة موحدة لبلدان الخليج العربي. (باكير، 2006، ص112)

وتشارك شركة "السكك الحديدية الوطنية الروسية" ـ احتكار روسي آخر في المناقصة الدولية لإنشاء خط السكك الحديدية في السعودية "الـشمال - الجنـوب". ويصل طول هذا الخط إلى 2400 كم وكلفة المشروع تصل إلـى مليـاري دولار. ويعتبر مشروع البنية التحتية هذا عن حق أحد أكبر المشاريع في الشرق الأوسـط. وبدأت المفاوضات بشأنه في العام الماضي. (العسلي، 2005، ص73)

وتتفتح آفاق واسعة أمام البلدين في ميدان التعاون في الفضاء. فتنوي المملكة إطلاق قمر صناعي لاستشعار الأرض عـن بعـد و5 أقمـار صـناعية أخـرى للاتصالات اللاسلكية بواسطة صاروخ روسي. وقد أطلق إلى المدار في نهاية العام 2007 بالإضافة إلى ذلك قمر الاتصالات اللاسلكية الصناعي "Arabsat 4B" الـذي صنع بطلب من عدد من الدول الأفريقية والعربية بما فيها السعودية.

وفي تموز عام 2006 جرى الإعراب في مع لقاء أمير منطقة الرياض مع الرئيس الروسي عن الرغبة في مشاركة المملكة العربية السعودية في تنفيذ مشروع إنشاء منظومة الرصد والملاحة عبر الأقمار الصناعية العالمية "غلوناس". (مركـز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، 2006)

التعاون الاستثماري

من أجل أن يتطور تعاون البلدين العلمي التقني بصورة طبيعية عمل الكثيـر على إعداد مسودات اتفاقيات حكومية ثنائية حول تجنب الازدواج الـضريبي علـى الدخل ورؤوس الأموال، وبشأن تشجيع توظيف رؤوس الأموال وحمايتها المتبادلة، وبصدد التعاون في مجال دراسة واستثمار الفضاء للأغراض السلمية وحول النقـل الجوي المباشر. كما يجري العمل على وضع مشروع مذكرة حول التعـاون بـين وزارتي التعليم والعلـوم الروسـية والتعلـيم العـالي الـسعودية. (يوريـسوفنا، 2007/3/24)

وتنوي المملكة العربية السعودية طرح مقترحات تتعلق بمشاريع اسـتثمارية كبيرة أبدى رجال الأعمال السعوديين الاستعداد للمشاركة فيها سوية مـع روسـيا، سواء في روسيا نفسها أو في البلدان الأخرى. ومما لا شك فيه أن زيـارة بـوتين ستفتح صفحة جديدة في تعاون روسـيا الاسـتثماري مـع الـسعودية. (القـدس، 2009/12/28)

تشغل المملكة العربية السعودية الموقع الأول في العالم من حيـث احتيـاطي النفط (حوالي ربع الاحتياطي العالمي) واستخراج النفط وتـصدير مختلـف أنـواع الوقود السائل. وكما أن المملكة تمتلك احتياطي من الغاز الطبيعي متخلفا من حيث الاحتياطي المكتشف (أكثر من 2ر6 تريليون متر مكعب). وتحتل روسـيا مواقـع

ريادية في العالم في مجال النفط والغاز بصورة خاصة. وإن احتلال قطاع الوقـود الموقع الأول في اقتصاد الدولتين وأبعاد استخراجه وتشابه تركيبة التصدير كل هذا يزيد من احتمالية تعميق العلاقات بين العملاقين النفطيين الغازيين. ولـذلك يـرى الكرملين والرياض بشكل مسوغ تماما أنه بوسع المملكة وروسيا أن يكونا مع الزمن شريكين إستراتيجيين. (الإمام، 2008)

لقد صدر هذا التعريف للعلاقات الاقتصادية لأول مرة قبل سنوات على لسان وزير خارجية المملكة الأمير سعود الفيصل في موسكو، إذْ أعلن وقتئـذ أن بلـده يسعى إلى الشراكة الإستراتيجية مع روسيا. وإن روسيا من جانبها تود هذا بـنفس الدرجة وتفعل كل ما هو ضروري لذلك. (العسلي، 2005، ص69)

يتطور التعاون في مجال الطاقة ويستمر تبـادل الزيـارات علـى مـستوى الوزارات. في عام 2004 تم التوقيع على اتفاقية بين الشركة الروسـية المـساهمة "لوكويل اوفرسيز هولدنغ" و حكومة المملكة العربية السعودية حول مساهمة الشركة الروسية في عمليات التنقيب وبناء مصنع لتسييل الغاز بجانب حقل "غوار" وهـو اكبر حقل نفطي في العالم الواقع في جنوب شرقي المملكة العربية السعودية.

في عام 2004 تم في مدينة الخبر افتتاح مكتب للشركة الروسية المـساهمة "ستروي ترانس غاز " وقامت هذه الشركة في سنة 2005 بطلب من غرفة التجارة والصناعة لمدينة الرياض بوضع تصور لإنشاء شبكة وطنية لنقل وتوزيع الغاز في المملكة العربية السعودية ووضعت تصميماً لتوزيع الغاز في مدينة الرياض. ومنـذ سنة 2006 تعمل في مدينة الخبر ممثليـه شـركة "غلوبالـستروي – انجينيرينـغ "(العسلي، 2005، ص71)

وتقوم الشركات الفرعية لشركة "تات نيفـت" باختبـار المعـدات الخاصـة بالأبحاث الجيوفيزيائية. ومنذ سنة 2002 يعمل مجلس الأعمال الروسي –السعودي.

في نيسان عام 2008 تم في الرياض برعاية غرفـة التجـارة والـصناعة الروسية ومجلس الأعمال الروسي- العربي إقامة المعرض الروسي الأول "روسـيا والمملكة العربية السعودية – آفاق مستقبلية جديدة للتعاون التجـاري –الاقتـصادي" وندوة إعمال.

منذ سنة 2002 تعمل اللجنة الحكومية المشتركة الروسية – السعودية في مجال التجارة والاقتصاد والتعاون في المجال العلمي – التقني. وعقدت في الرياض عام 2005 اجتماعها الثاني. (العسلي، 2005، ص74)

تم في سنة 2007 التوقيع على مذكرة التعاون والتفاهم بين فنيش ايكونوم بنك وروس ايكونوم بنك من الجانب الروسي و الصندوق السعودي للتنمية، وفي الفترة بين 20 – 24 كانون ثاني عام 2008 زار الرياض وفد من رجال مصرف روسيا المركزي و (5) مصارف روسية. وتم خلال اللقاءات مع ممثلي المصارف السعوديين التباحث حول الأزمة المالية العالمية ودور المصارف في اجتيازها. كما تم التعريف بالمصارف الروسية (فنيش تورغ بنك و غازبروم بنك وبنك موسكو). (كاراتنسكي، 2007/7/9)

التعاون في مجال الفضاء

حملت الصواريخ الروسية في أيلول عام 2000 إلى مدارات الفضاء الخارجي 13 قمراً صناعياً سعودياً تستخدم في مجال الاتصالات و سبر سطح الأرض عن بعد. (الربيع، 2009)

ويهتم الجانب السعودي بالمشاركة في مشروع إنشاء نظام الملاحة الفضائية "غلوناس". وفي شهر أيار عام 2007 جرت في الرياض الجولة الأولى للاستشارات حول المشروع. (كاراتنسكي، 2007/7/9)

5-5 التعاون السعودي الروسي في المجال الديني

العامل الإسلامي كان وما زال محور السياسة الخارجية السعودية، ولقد حملت المملكة على عاتقها منذ القدم هم الدعوة إلى الإسلام ومد الجسور مع العالم الخارجي وتعريف الإسلام بصورته الحضارية للآخرين فاكتسبت بذلك احترام وتقدير الشعوب في مختلف قارات العالم. على صعيد العلاقات السعودية الروسية مثل العامل الإسلامي العنصر الأهم سواء في عصر «روسيا الشيوعية» التي كانت النواة للدولة السوفياتية التي أخذت على عاتقها «صناعة» و«تصدير» الفكر الشيوعي الماركسي، أو روسيا المتحررة المنفتحة على ثقافات الشعوب، فكان العامل

الإسلامي «الخيط الخفي» والرقم الصعب الذي لم تستطع الإمبراطورية السوفيتية آنذاك تجاوزه حتى وهي في أوج عظمتها، وكما يقول الخبير الروسي قسطنطين بولياكوف في دراسته التي تستعرضها «مجلة الجزيرة». حول العامل الإسلامي في تشكيل العلاقات الروسية السعودية، فان هذا العامل مثل المحور الرئيس بين الدولتين حتى خلال العقود الخمس بين 1935م عندما قطعت السعودية علاقتها مع روسيا الشيوعية وحتى انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي. (عبد البديع، 1992، ص35)

في أعوام التسعينيات من القرن العشرين أصبح التواجد العربي الإسلامي في روسيا ملحوظاً، على الأخص أمام خلفية التغيرات الكبيرة التي طرأت على وضع روسيا الدولي والداخلي على حد سواء، لقد أدت التطورات التي شهدها الإسلام في روسيا خلال التسعينيات والتي كانت دوما محط أنظار وزارات الخارجية في الأقطار العربية إلى سعي الكثير من ممثلي الدوائر الدينية والزعماء وعلماء الدين والشخصيات الاجتماعية البارزين في العالم العربي إلى تحقيق مكاسب من الوضع الدولي الناشئ بقدر الإمكان لدعم المسلمين الروس، ووجهت هذه الجهود قبل كل شيء إلى المسلمين في النخبة السياسية الإقليمية ودوائر رجال الأعمال بروسيا. (شعيبي، 1994/9/16)

إن موقف الأقطار العربية من الوضع السياسي الديني الناشئ في التسعينيات في روسيا ولا سيما في شمال القوقاز جاء في جانب كبير منه انعكاسا لمشكلاتها الداخلية الحادة الخاصة في هذا المجال وفي مقدمتها مشكلة التطرف الديني. ويرى الخبير بولياكوف ان هذه إشكالية بنيت على تحليل غير منطقي، أو استندت إلى معلومات غير واقعية، والسبب الرئيس في ذلك، كما يقول هو أن المعلومات عن النشاط الإسلامي في روسيا تم استقاؤه من مصادر أخرى غير الطرفين، فهي معلومات منقولة غير أصيلة، في الوقت ذاته أصبحت روسيا في تلك الفترة تواجه مشكلات كثيرة ذات طابع اقتصادي اجتماعي كانت تعتبر سابقاً من المشكلات الخاصة بدول «العالم الثالث» فقط، وبالتالي بدأت تبرز في روسيا بعض خطوط الوضع السياسي الديني المميزة سابقاً ل «الدول النامية» مثل احتدام التناقضات بين

الأديان المختلفة وظهور عدم التسامح الديني وتصاعد النزعات الراديكالية وغيرها. (الإمام، 2008)

في هذا الصدد تبدو الخبرات التي كدستها الأقطار العربية في مواجهة التطرف جديرة بأن تبدي روسيا الاهتمام بها ليس فقط من وجهة نظر مواجهة واحتواء التحديات الخارجية المنبثقة من التشكيلات الإسلامية، بل إنها مهمة أيضا من أجل تحليل الظروف الاقتصادية الاجتماعية الداخلية التي تساعد على ترسيخ جذور التطرف في روسيا. يقول بولياكوف: «هذا الطرح الغريب في منهجيته مبني على التعميم الخاطئ لتشابه الظروف السياسية والدينية في العالم العربي». (شعيبي، 1994/9/16)

في العقد الأخير من القرن الماضي وجدت روسيا نفسها بصورة مباشرة أو غير مباشرة طرفاً في الأحداث الدولية التي ساعدت على مواصلة تنامي المظاهر الراديكالية في العالم العربي. وتعزى هذه العمليات إلى حد ما إلى بقاء العلاقات الاقتصادية بين الغرب ودول الشرق الأوسط دون تسوية وما ينجم عن ذلك من نشوء التوتر الداخلي في كثير من الأقطار العربية. ومن الناحية الجيوبوليتيكية أضيف إلى التخلف الاقتصادي الاجتماعي السائد في بعض أقطار الشرق الأوسط الوضع الاقتصادي المتأزم في الجزء الأكبر من الدول الإسلامية الجديدة التي استقلت عن روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، كما زادت النزاعات الدينية والقومية في التسعينيات من صعوبة الوضع الاقتصادي الاجتماعي في عدد من دول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وزادت أيضاً من حدة وضعها السكاني المتوتر أصلاً بمشكلة اللاجئين وساعدت في إفقار أبنائها وانتشار البطالة بين شبابها. (نصار، 2009)

تتطور بشكل ملحوظ العلاقات الإنسانية ومن ضمنها بين المنظمات الإسلامية. وتعمل منذ سنة 2002 اللجنة الروسية للحج، التي من واجبها تقديم المساعدة للحجاج الروس. وفي عام 2006 بلغ عدد الحجاج الروس إلى الأماكن المقدسة في المملكة العربية السعودية (18)18 ألف شخص. وفي عام 2007 بلغ عددهم 26.5 ألف شخص. (القدس، 2007/3/20)

وفي يونيو/حزيران عام 2008 شارك وفد من مجلس المفتين في روسيا المملكة العربية السعودية في المؤتمر العلمي حول "تحديات العولمة ومشاكل العصر". وفي الفترة بين 27 – 29 أكتوبر عام 2008 انعقد في مدينة جدة الاجتماع الرابع لمجموعة الرؤية الإستراتيجية "روسيا – والعالم الإسلامي". بعد إحلال الثقة بين السعودية وروسيا والتفاهم كانت هناك صلات ثقافية وعلمية تربط الجانبين لا سيما في روسيا ما يقارب (25) مليون مسلم ولهذا نجد أن أهم أوجه التعاون الثقافي والعلمي هي: (يوري، 2008)

1. مشاركة الرياض في معرض الكتاب الرابع عشر المقام بموسكو في إبريل 2002م.
2. وجود المدرسة السعودية بموسكو والتي تضم 400 طالب يمولها ويرعاها الملك عبد ا ، وبها قسم لتعليم العربية لغير الناطقين بها يلتحق بها سنوياً (600) شخص وتعتبر هذه المدرسة الوحيدة من المدارس الأجنبية التي يسمح لها لقاء وزير التعليم الروسي والوحيدة التي دعيت للتباحث حول قضايا التعليم مع رئيس لجنة التعليم والعلوم في البرلمان الروسي.
3. وجود قسم الأمير نايف للدراسات الإسلامية بجامعة موسكو وهو القسم الوحيد في مجال التعاون الأكاديمي بين البلدين بلغ عدد الدارسين به خلال 96-2000م (805) دارسين ما بين بكالوريوس وماجستير ودكتوراه. (كاراتنسكي، 2007/7/9)

وضمن إطار زيارة الرئيس الروسي السابق فلاديمير بوتين إلى المملكة العربية السعودية في شهر شباط عام 2007 تم التوقيع على مذكرة وبرنامج التعاون للسنوات 2007 -2009 بين وزارة الثقافة والإعلام السعودية و الوكالة الاتحادية للثقافة و السينما الروسية . وفي سنة 2007 وقعت اتفاقية التعاون بين وكالة انباء"نوفوستي " الروسية و ووكالة الأنباء السعودية. في 8 يوليو/تموز عام 2009 تم في موسكو التوقيع على برنامج التعاون العلمي بين معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية ومعهد البحوث العلمية للمعلومات التابع لوزارة الخارجية

السعودية. وفي سنة 2004 أرسل لأول مرة طلاب سعوديون للدراسة على حساب الحكومة الروسية. (يوريسوفنا، 2007/3/24)

الخاتمة:

حددت الأطر والمبادئ العامة للشراكة بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي من خلال الزيارات المتبادلة والاتفاقيات التي تم توقيعها بين الجانبين، ويفترض العمل من أجل إكساب الخطط تنفيذاً عملياً واقعياً، حيث تتطابق فيه وجهة نظر روسيا مع المملكة العربية السعودية في الكثير من الأمور والقضايا في مجال مكافحة التطرف والإرهاب، والعمل على توسيع التعاون بين روسيا والعالم الإسلامي عبر منظمة المؤتمر الإسلامي واللجان المشتركة ضمن مجلس الأعمال الروسي العربي، وإنشاء مركز الحوار العربي الروسي الرامي إلى تفعيل التعاون الثقافي بين الجانبين، والذي لاقى ترحيباً من مجلس السفراء العرب في روسيا الاتحادية، الأمر الذي يستدعي في أذهاننا الدور المنوط بالثقافتين الروسية والعربية في تكريس وتفعيل مطلب التنوع الثقافي الذي لا محيد عنه في مواجهة نزعات الهيمنة اللغوية والفكرية، ودور الحضارتين العربية والروسية في إرساء إستراتيجية حوار بناء بين الحضارات، ومدى الحاجة إلى هذا الحوار لتخفيض المخاطر التي أصبحت تهدد العالم في أمنه واستقراره كنزعات العنصرية الثقافية والتطرف الديني.

كانت المملكة العربية السعودية من بين البلدان الأوائل التي أيدت مبادرة روسيا بشأن الانضمام إلى منظمة المؤتمر الإسلامي بصفة مراقب ومارست دوراً هاماً في الضغط على المنظمة لتبني ذلك. وبفضل ذلك شاركت روسيا لأول مرة بصفة مراقب في القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي، كما أن هناك آلاف الروس الذين يزورون المملكة في كل عام لأداء فريضة الحج، في الوقت الذي منحت فيه روسيا العرب أرضاً في قلب عاصمتها لبناء "البيت العربي الروسي".

تبرز المبادئ الدينية في أسس نهج السياسة الخارجية للمملكة العربية السعودية وهو نهج خصوصي، ينطلق منه مجمل المبادئ والأحكام للسياسة الداخلية والخارجية للمملكة العربية السعودية، التي أرساها الملك عبد العزيز آل سعود

مؤسس الدولة السعودية الحديثة. لأن السياسة الخارجية للمملكة تلتزم بالسمات التي حددها مؤسس الدولة، وتسير على هدى المبادئ التي أعلنها. وعند تقيـيم مبـادئ السياسة الخارجية السعودية نلاحظ أن السياسة الخارجية للمملكة تتأثر بمجموعة من القيم الدينية والسياسية التي تحدد إطار السياسة التي تستمد منها شرعية سياستها في ميدان العلاقات الدولية انعكاسها على السياسة الخارجية الدولية.

وإذا تأملنا السياسة الخارجية السعودية لوجدنا أن القيم الفكرية المستمدة مـن الإسلام تشكل الأسس التي ترتكز عليها بتلك السياسة، كما أنها تؤثر فـي تحريـر مبادئها واتجاهاتها، وأن الإمكانيات السياسية الخارجية للمملكة تؤهلهـا لأن تتمتـع بوزن جيو استراتيجي واقتصادي ليس على الصعيد الإقليمي فقط، بل وعلى الصعيد الدولي أيضاً. وهذا الأمر يجعل المملكة شريكاً فعالاً في بناء النظام العالمي الجديد، القائم على التعايش السلمي، وضمان الأمن، والاستقرار ورخاء الشعوب. وإذا مـا سعت المملكة العربية السعودية إلى البلورة العاجلة لهذه المنظومة مـن العلاقـات الدولية، باعتبار نفسها في الأسس القاعدية الهامة. فسوف يكمن في هذا بالذات إحدى الأولويات المبدئية الأكثر أهمية في سياستها الخارجية.

في المقابل فإن روسيا الاتحادية تعطي تقييماً ذاتياً لنهج سياستها الخارجيـة. فروسيا لا تعتبر نفسها قوة صغيرة في منظومة العلاقات الدولية. باعتبـار الاتحـاد الروسي الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي، وهو دولة عظمى تتمتع بعضوية دائمة في مجلس الأمن الدولي، وتواصل، بهذه الصفة، ممارسة التأثير على تشكيل النظام العالمي الجديد. ومع ذلك فإن الكثير من قضايا تحديد الهوية القومية ونهج الـسياسة الخارجية لدى "الطبقة الحاكمة" الروسية يشبه الطرح السعودي ذاته.

ويتمثل الأساس المبدئي في الالتزام قيم الديمقراطية وإجراء الإصلاحات في البلاد على أساس هذه القيم، بغية تحويلها إلى عنصر أساسي من النظـام العـالمي الراهن. ومع ذلك لا يبدو تشكيل هذه الطبقة منتهياً، خلافاً للحالة الـسعودية. فـإن التحول الحاد الذي جرى في مطلع التسعينيات من القرن الماضي بإعلان تعاطفه مع أسس شرعية الشكل السابق السوفييتي لكيان الدولة الروسية المعاصرة. يملي سـعي روسيا إلى ممارسة تأثيرها على عمليات إقامة النظام العالمي الجديد أن يكون نهـج

سياستها الخارجية متعدد التوجهات، ولكن مع مراعاة أن تعدد التوجهات هذا يكـون على صعيدين على أقل تقدير. فإن الطبقة الحاكمة الروسية تؤكد أن الـبلاد تتمتـع بوضع استراتيجي فريد في القارة الأوراسية، تضع في مقدمة أولويـات سياسـتها الخارجية مسألة ضمان التعاون المتعدد الأطراف من جانب، والثنائي مـع الـدول الأعضاء في رابطة الدول المستقلة من جانب آخر.

تبرز روسيا في سياستها الخارجية، الحلقة المركزية فـي سـياق الـصعيد الأوراسي لسياستها حيث يتسم الاتجاهان الأوروبي والآسـيوي بأهميـة ظـاهرة. وتتمثل هذه الحلقة، كما هي حال السعودية، في منظمة إقليميـة متعـددة الوظـائف تشكلت بمشاركة نشيطة من جانب روسيا، وتسعى روسيا في إطارها إلى ممارسـة دور القوة الرئيسية فيها لصالح ضمان التكامل والأمن الإقليمي.

تواجه كل من المملكة العربية السعودية وروسيا اليوم تحديات كبيرة لأمنهما القومي، يمكن أن تغير ليس فقط العلاقات بينهما، بل أن تهيئ الأسس الجديدة مـن أجل التعامل بينهما بنجاح في المجالين السياسي والاقتصادي. والعامل الهام مبـدئياً الذي يحدد إمكانية التحرك باتجاه معالجة هذه المسألة يكون بتعزيـز كيـان الدولـة الروسي باطراد، على أساس القيم الديمقراطية التي تطبق في حياة الاتحاد الروسي، ومن جانب آخر بدء عملية إشاعة أشكال متعددة من الديمقراطية بصورة تدريجيـة في المجتمع المدني السعودي، والدولة السعودية في النصف الأول مـن تـسعينيات القرن الماضي.

أن الأحداث العالمية بعد 11 أيلول قد كشف الكثير من المواقـف المـشتركة لدى البلدين. ومن المهم مبدئياً اليوم بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية وبالنـسبة إلى روسيا توفر أدوات تشكيله. وتمثل هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها مكانة متميزة من بين هذه الأدوات التي يعتبرها كلا البلدين محفلاً واقعياً لحـل القـضايا الهامـة الشاخصة في مركز اهتمام المجتمع البشري بأسره، وفي مقدمتها قـضايا التـصدي للتحدي الشامل للإرهاب الدولي. فإن كلا البلدين يعتبران أن من غير المقبول أبـداً وجود نظام عالمي قائم على أساس هيمنة إحدى الدول العالمية. وأنهما يعتقـدان أن النظام العالمي بشكل منظومة من العلاقات الدولية تراعي بدقة المصالح الوطنية لكل

عضو في المجتمع الدولي، ومن ذلك حقه السيادي في التصرف بثرواته الطبيعيـة، وضمان الاستقرار والأمن.

النتائج:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية

أولاً: بدأت العلاقات بين الاتحاد الروسي والمملكة العربية السعودية، منذ بداية القرن الماضي حيث كان الاتحاد السوفيتي أول من اعترف في عام 1926 بالدولـة السعودية المستقلة الموحدة وأخذت تطور العلاقات التجارية معها، لكن وفـي نهاية عقد الثلاثينيات قطعت العلاقات بين الدولتين واستمر ذلك حتـى عـام 1990 حيث اتفقت الدولتين على إعادة العلاقات الدبلوماسية بـصورة كاملـة بينهما وافتتحت سفارتا البلدين منذ عام 1991 واستمرت العلاقات في التطور.

ثانياً: ساهمت التحولات في ضل النظام الدولي الجديد في حـدوث التقـارب بـين الدولتين، وخصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، والحرب الأمريكيـة على الإرهاب والاحتلال الأمريكي لإفغانستان والعراق، حيث شكلت أحـداث الحادي عشر من أيلول في حدوث تغيير في النظام الدولي والعلاقات الدولية، وبرزت تحالفات دولية جديد، وحدوث توتر العلاقات بين واشـنطن والعـالم الإسلامي بما فيها المملكة العربية السعودية حليف الولايات المتحدة التقليـدي في المنطقة حيث ظهر ضلوع عدد من السعوديين في هذه الأحداث. يـضاف إلى ذلك معارضة المملكة العربية السعودية للحرب على العراق فـي 2003 التي شكلت تهديداً للأمن الإقليمي. وفي النتيجة أدت كافة هذه الأحـداث إلـى تعرض العلاقات السعودية الأمريكية إلى التراجع. وبالرغم من الحفاظ علـى الشراكة مع واشنطن في مجالي الاقتصاد والعسكري .

ثالثاً: تحتل منطقة الخليج بشكل خاص أولوية متقدمة ضمن الإستراتيجية الروسـية التي تسعى لاستعادة مكانة روسيا على المستوى الدولي كقوة عظمى والاستفادة من الفرصة التاريخية الراهنة خاصة مع حالة التراجع الأميركي والمأزق الذي تعيشه واشنطن في العراق وأفغانستان، وانشغالها عن باقي القـضايا الدوليـة الأمر الذي يعطي لروسيا حرية الحركة لاكتساب حلفاء جدد أو استعادة حلفاء

فقدتهم حينما انشغلت بالتطورات الداخلية الدراماتيكية التـي شـهدها الاتحـاد السوفييتي السابق.

رابعاً: تمثل منطقة الخليج العربي بعداً حيوياً للإستراتيجية الروسـية حيـث الـنفط والتنسيق بشأن تخطيط الطاقة مع روسيا فان روسيا بما تتمتع به مـن مكانـة دولية وإمكانات اقتصادية تعتبر منطقة جديدة لدول مجلس التعـاون الخليجـي التي تحاول تطويع علاقاتها مع روسيا لدعم قضاياها السياسية سـواء علـى المستوى الخليجي أو العربي والإسلامي، علاوة على تخفيف الضغوط الغربية والأميركية عليها في ظل توجهها نحو امتلاك برنامج نووي سلمي والتقـارب الأميركي الإيراني وتزايد مخاوفها وشكوكها حول البرنامج النووي الإيرانـي ومن ثم فان إدراك الجانبين الخليجي والروسي لأهمية المصالح المتبادلة بينهما يمثل أحد المحددات الرئيسة التي تحكم التفاعلات السياسية والاقتـصادية فـي العلاقات الروسية الخليجية

خامساً: شكلت زيارة ولي العهد عبد ا (الملك حالياً) إلـى روسـيا فـي 2 ـ 4 سبتمبر عام 2003 مؤشراً هاماً لتنمية العلاقات الثنائية، حددت الأولويـات الإستراتيجية لتعاون البلدين وكشفت عن تطابق أو تقارب وجهات النظر من القضايا الإقليمية بما في ذلك الوضع في العراق والنزاع العربي الإسرائيلي. كما وقع عدد من الاتفاقيات بشأن قضايا اقتصادية وبالمرتبة الأولى التعاون في مجال الطاقة الذي بدأ في الوقت الحاضر يعطي ثماره.

سادسـاً: يشغل الإسلام موقعاً هاماً في مجمل العلاقات السعودية الروسية، وتعتبـر المملكة مركز وموطن الإسلام حيث تقع الأماكن المقدسـة. وفيمـا يخـص روسيا فللإسلام فيها تأثير ملموس. ويشكل المـسلمون فيهـا (25%) مـن مجموع السكان. وتكمن خواص الثقافة الروسية في أنهـا مبنيـة لا علـى المذهب الأرثوذكسي فحسب بل وعلى تعاليم الإسلام.

سابعاً: لدى تقييم تطور التعاون بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية في كافة الميادين ـ السياسية والاقتصاد والدينية والثقافيـة نلاحـظ أن هـذه

العلاقات قد انتقلت في السنوات الأخيرة من المواجهة إلى سياسة الواقعية والمصالح المتبادلة المشتركة والاعتماد المتبادل..

ثامناً: تأتي خطوة تعزيز العلاقة مع روسيا كجزء من سياسة الانفتاح التي تتبعها المملكة العربية السعودية، إذْ تسعى المملكة إلى توظيف علاقاتها مع روسيا في خدمة مصالحها الوطنية وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، وتأمل المملكة من روسيا أن يكون لها حضور قوي وفاعل في هذه القضية، لاسيما وان روسيا هي احد الأطراف الرباعية الدولية الراعية لعملية السلام، كذلك بالنسبة للحالة العراقية التي أصبح تأثيرها ينعكس على منطقة الخليج العربي و يشكله ذلك من تهديد للأمن الوطني السعودي وفي ضوء إدراك المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي للبيئة الدولية والسياسية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى.

تاسعاً: تعتمد السياسة الخارجية لأي دولة في العالم في تعاملها مع البيئة الإقليمية والدولية على تحقيق مصالحها السياسية والاقتصادي. ويمكن للعلاقة التي نشأت بين السعودية وروسيا أن يكون لها شأن كبير، إذ أن الدولتين تتربعان على عرش تصدير النفط العالمي، وإذ ما توحدت السياسة النفطية لهاتين الدوليتين فأنهما ستتحكمان بالمصير السياسي للكثير من دول العالم بسبب ما يمثله النفط من أهمية في الصراعات السياسية.

عاشراً: انعكس ما جرى في الولايات المتحدة في الحادي عشر من أيلول عام 2001 بشكل كبير على السياسة الأمريكية الخارجية، إذ أنها لجأت إلى استخدام القوة العسكرية ضد الدول التي وضعتها على قائمة الدول الراعية للإرهاب كأفغانستان والعراق، وتعدى الأمر إلى إنها اتهمت اكبر حليف لها في المنطقة بدعمه للعمليات التي استهدفتها، وبذلك ساءت علاقتها مع المملكة العربية السعودية بشكل كبير. رد الفعل الذي ظهر بعد أحداث أيلول من الشعب السعودي تجاه الولايات المتحدة الأمريكية مثل نقطة انعطاف كبيرة، لان الشعب السعودي طالب حكومته بتغيير سياستها تجاه الولايات المتحدة والعمل على بناء علاقات جديدة مع روسيا.

الحادي عشر: النقطة المهمة التي يجب الوقوف عندها هي أن الحلف الروسي السعودي لو قدر له أن يستمر ويتطور إلى عقد اتفاقيات عسكرية وإستراتيجية، فان من شانه أن يعزل الخطر الإيراني الذي يهدد منطقة الخليج العربي عن طريق تطويقها وتحجيم دورها، على غرار الاتفاقيات التي كانت تعقدها الولايات المتحدة مع الدول المحيطة بالاتحاد السوفيتي السابق لغرض عزله عن الدول المحيطة به.

الثاني عشر: أن موقف روسيا من الرسوم المسيئة للرسول الكريم محمد صلى ا عليه وسلم كان متقدما للغاية أكد مفاهيم عدة واتزاناً سياسياً وثقلاً اجتماعياً تميزت به روسيا، وخططت له قيادة واعية لخطر الانجراف وراء هذه الترهات والتجاوزات، إذ كانت إدانة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لهذه الصور إلى جانب وزير الخارجية ومجلس النواب الروسي تنم عن إدراك القيادة واحترامها للثقافات المختلفة وتقديرها لحرمات الأديان.

الثالث عشر: وتأخذ السعودية بسياسة انفتاح وتعاون مع جميع القوى الاقتصادية الفاعلة في العالم، وذلك انطلاقا من إستراتيجية يقودها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد ا بن عبد العزيز تستهدف تحقيق التوازن في علاقاتها الدولية بما يتلاءم مع مكانتها كقوة إقليمية واقتصادية كبرى في المنطقة.

الرابع عشر: يحتل الجانب الاقتصادي أهمية كبيرة في الرؤية الروسية لأهمية الخليج العربي في الحاضر والمستقبل وبشكل عام فان العلاقات الاقتصادية في بعديها الاستثماري والتجاري بين الدول الخليجية وروسيا وصلت الى مستويات جيدة وأصبح كثير من دول الخليج وبخاصة المملكة العربية السعودية من أهم المتعاملين التجاريين مع روسيا. وتتمثل الأهمية الإستراتيجية للخليج العربي لدى روسيا في كونه مصدرا للنفط، خاصة أن روسيا تستهلك ثلثي المستخرج من النفط والغاز محليا حيث تستهلك من الغاز سنويا ما يزيد على

استهلاك اليابان وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وايطاليا مجتمعة رغـم أن حجم الناتج الإجمالي المحلي لهذه البلدان الخمسة يفوق مثيله الروسي بـ 13 ضعفاً.

الخامس عشر: أن روسيا دائماً تسعى لتطمين دول مجلس التعاون الخليجي ويتضح ذلك من خلال تصويتها على قرار مجلـس الأمـن رقـم (1737) الصادر في 23 كانون الأول 2006 الخاص ببرنامج إيران النووي , الذي ترى فيه هو الطريق الصحيح من اجل الوصول بهذه القضية إلى التسوية . وقد كثفت روسيا اتصالاتها مع ممثلي دول مجلـس التعاون الخليجي , الذين يؤيدون إيجاد حل بالطرق السلمية للقضايا القائمة والمتعلقة بالبرنامج النووي الإيراني .

السادس عشر: بنهاية عام 2009، قطعت روسيا الاتحادية مرحلة مهمة في طريق التعاون المشترك مع العالم الإسلامي، ونجحت في تجاوز العقبـات الرئيسية في هذا الطريق، حيث تمكنت بشكل استثنائي من الـ دخول إلى منظمة المؤتمر الإسلامي كعضو مراقب، مع مطالـب حثيثـة «ومنطقية» لتصبح كاملة العضوية، كما نجحت في تجاوز الآثـار السلبية «على المستويين الداخلي والخارجي» لحربها مع الشيشان، وانشغلت في العمل الجاد لإرساء قواعد أساسية في التعـاون مـع العالم الإسلامي من منطلقات نفعية للطـرفين وللجانـب الروسـي «عمليا» بالدرجة الأولى، ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي عملـت روسيا على تشكيل فريق متخصص تمت تسميته «فريق إستراتيجية روسيا والعالم الإسلامي»

التوصيات

أولاً: أول خطوة جادة لرسم مستقبل علاقات مزدهرة وفعالة بين المملكـة العربيـة السعودية وروسيا، تكمن في أهمية تجاوز المحددات التي أثرت على العلاقـات بينهما، والثقة المتبادلة على المصالح المشتركة بينهما.

ثانياً: فإن على روسيا تغيير نظرتها للمملكة العربية السعودية كدولة نفطية فحسب، أو أنها كما يصورها الإعلام المتحيز، دولة تصدر الإرهاب، النظر إلى الإمكانات السعودية التي يمكن استثمارها روسياً، وذلك من خلال موقع المملكة الديني والاقتصادي والسياسي في العالم العربي والإسلامي بشكل خاص والعالم أجمع بشكل عام.

ثالثاً: تنشيط دور المجتمعات الأهلية والبرلمانات من أجل مد الجسور بين روسيا والسعودية والاعتماد على فكرة العلاقات العامة للوصول إلى صانع القرار الروسي لإقناعه بأهمية تطوير العلاقات السعودية الروسية.

رابعاً: السعي إلى التقارب إعلامي حيث تقوم وسائل الإعلام بدور في التقريب والتفاعل بين الجانبين لوقف لحملات الإعلامية بين الجانبين لتأثير على العلاقات بين الدولتين.

خامساً: الاستفادة من وجود ما يناهز (25) مليون مسلم بروسيا يمثلون عمقاً إستراتيجياً للعالم العربي في الاتحاد الروسي ليشكلوا إدارة ضغط لتبني صانع القرار في الاتحاد الروسي لتبني مواقف سياسية تدعم لقضايا العربية في الاتحاد الروسي.

سادساً: تنظيم مؤتمر على مستوى صانعي القرار بشأن العلاقات السعودية الروسية لبحث هذه المسألة مباشرة. تأسيس قاعدة مشتركة عبر التمثيل البرلماني لوضع التشريعات الملائمة والأسس القانونية التي تخدم تطوير العلاقات بين الطرفين.

سابعاً: زيادة حجم التبادل التجاري وتنويعه بين المملكة العربية السعودية والاتحاد الروسي وإنشاء شراكة إستراتيجية تساعد على استغلال موارد الطاقة التي تمتلكها الدولتان.

المراجع

أ- المراجع العربية:

أبو بكر يوسف،(2003). **مثلث المستحيل في العلاقات السعودية الروسية**، مجلة المجلة، العدد 1231،.

أبو غزالة، محمد محمود سليمان، (1997). **هيكل النظام السياسي الدولي: القوة تحكم العالم**، عمان: المؤلف.

أحمد إبراهيم، محمود،(2000). **وثيقة نص القرار الجمهوري رقم 24 الصادر في موسكو** في 10 يناير .

أحمد، السيد سيد، "**العلاقات السعودية الروسية من التنافس إلى التعاون**"، صحيفة الشرق الأوسط العدد 9046 في 2003/9/3.
http://www.asharaqalawsat.com

أحمد، مكرم محمد، **عرب يحلمون بتجدد الحرب الباردة**، صحيفة الأهرام، العدد (44483)، 20-9-2008م.

الأسطول الروسي في طرطوس: **توازن جديد للقوى بالمتوسط**، صحيفة الأهرام، العدد (44080)، 4-8-2007م.

أكيرمان، أليلا "**العلاقات بين دول المجلس وروسيا في مجموعة باحثين الخليج في 2003**، مركز الخليج للأبحاث.

إلياس حنا، **نظرة إستراتيجية لأحداث القوقاز (نهاية الأيديولوجيا والعودة إلى الجغرافيا السياسية)**، شؤون عربية، العدد (135)، خريف 2008م، ص ص 60 77.

الإمام، أحمد، (2008)."**السعودية وروسيا.. قراءة جديدة للسياسات العالمية**"، **22/ 8/ 2008**، متوفر عبر: http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1171431884289&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayou

انسحاب روسيا من اتفاق نزع السلاح، صحيفة الأهرام، العدد (44056)، 21-7-2007م.

باكير، علي حسين، (2006). **العلاقات الروسية الصينية في النظام الجديد**.مجلـة العصر،ع(25)، ص12-19.

بدوي محمد طه، و مرسي، ليلى أمين، **أصول علم العلاقات الدولية**،المجلـد الأول، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية،1989،ص99.

بدوي، محمد طه، (1972). **مدخل إلى علم العلاقات الدولية**، بيروت: دار النهضة العربية.

بركات، وائل، (2000). **صفقات السلاح في منطقـة الـشر ق الأوسـط 1999-2000**، السياسة الدولية، العدد (140).

بن صقر، عبد العزيز بن عثمان، "**زيارة بوتين ترسيخ لأواصر العلاقات الروسـية الخليجيـة**"، صـحيفة الحيـاة، لنـدن فـي 2007/2/13، متـوفر عبـر: http://www.pinr.com-report.phans

بوريسوفنا، جانا، (2007). **تعاون روسيا مع أوروبا في مجال الطاقة**، نوفوسـتي، 24 مارس.

بوريسوفنا، جانا، (2007). **هل تصبح الطاقة سـلاحاً جديـداً**، صـحيفة البيـان الإماراتية، 7 أغسطس.

تركي، ماجد، (2006)، **العلاقات السعودية الروسية في ضوء المتغيرات الإقليمية والدولية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرياض.

التركي، ماجد، (2008م)، (ملـف روسـيا: المـسلمون فـي روسـيا الاتحاديـة والجمهوريات الإسلامية)، **مجلة «المعرفة»** العـدد 62، جمـادى الآخـرة، 1421هـ، سبتمبر.

جبر، رائد "**روسيا تواجه تجاهل الغرب مصالحها بإستراتيجية دفاعيـة شـاملة**"، صحيفة الحياة، العدد (16065)، 30-3-2007م.

جبر، رائد، (2007). **روسيا تواجه تجاهل الغرب مصالحها بإستراتيجية دفاعيـة شاملة**، **الحياة**: يومية - تصدر في بيروت - العدد - 16065 تاريخ 30 آذار.

الجبور، بشار (2008)، **الدور الروسي في النظام العالمي الجديـد 2000-2006**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

بيومي، عمرو رضا. **(1998)، جريدة الحياة اللندنية والأهرام المصرية في 18 و 19 ديسمبر.**

الجنابي ميثم، (2000م **)،** (ملف روسيا: ولادة قيصرية لنظام تربوي جديد)، **مجلة «المعرفة»** العدد 62، جمادى الآخرة 1421هـ، سبتمبر.

حسين، عدنان السيد، **نظرية العلاقات الدولية، الطبعة الأولى**، أمواج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان2003م.

حلقة نقاشيه، (1998). **عملية صنع القرار في روسيا والعلاقات العربية – الروسية، المستقبل العربي**، العدد (230).

الخليل، معمر فوزي، **(2009)، العلاقات السعودية الأمريكية بعد تقرير أحداث 9/11، 8/6/**، متوفر عبر: http://almoslim.net/node/85250

رزق، مفيد، (2008م)، الصراع على القطب الشمالي**: حرب باردة من نوع آخر،** صحيفة الحياة، 18-10-2008م.

رشيد، حيدر، (1995)، **العوامل المختلفة لنشأة وتفكك النظام العالمي الجديد،** الدستور، رقم العدد 9964، 1995/5/23،2ع.

الرشيدي، احمد،(2001) **مصر والقوى الكبرى في النظام العالمي الجديد**، دار النهضة العربية، القاهرة.

الرفوع فيصل عودة، و فهمي، عبد القادر محمد،(2009)، **نظرية السياسة الخارجية**، لطبعة الأولى.

الشيخ، طارق، **روسيا تحشد ملفاتها انتظاراً لساعة الصفر**، صحيفة الأهرام، العدد (44465)، 2-9-2008م.

السعدون، حميد حمد، (2001). **فوضوية النظام العالمي الجديد وآثاره على النظام الإقليمي العربي**، عمان: دار الطليعة للنشر والتوزيع.

سعيد، عبد المنعم، (1991). **العرب والنظام العالمي الجديد، دراسات إستراتيجية،** القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مؤسسة الأهرام، العدد (3).

سعيد، محمد السيد، (1993). إصلاح مجلس الأمن، الأهرام المصرية.

الشايب، جعفر، **الباحثون الغربيون والإصلاح في السعودية، 2004/11/28**، متوفر عبــــر: http://www.aljazeera.net/NR/exeres/71A32091-00B9-4F92-BACB-E881D81003C2.htm

شرف، أحمد، (1992). **مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب** الخلـيج، دار الثقافة الجديدة.

شفيق، علي، **(**1985)، **العلاقات الدولية في العصر الحديث**، الطبعة الأولى،مكتبـة المعارف للنشر والتوزيع،الرباط، ص130.

شلبي، السيد أمين، (2008م**)،** العلاقات الروسية الأمريكية إلى أين؟ : وجهة نظـر صينية، **مجلة السياسة الدولية**، العدد (171)، يناير، ص 191.

الشيخ نورهان، (2006). **صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسـية**، صحيفة القدس، العدد3376، 2000/3/20، لندن.

الشيخ، طارق، **إنها الحرب العالمية الثانية**، صحيفة الأهـرام**،** العـدد (44452)، 20-8-2008م.

الشيخ، طارق، روسيا الاتحادية تشهر سيفها في وجه الغرب، **صـحيفة الأهـرام**، العدد (44443)، 11-8-2008م.

الشيخ، نورهان، (2008م)، روسيا وأزمة أوسيتيا الجنوبية، توازن جديـد للقـوى الدولية، **مجلة السياسة الدولية**، العدد (174)، أكتوبر، ص 205.

صادق، سيد أحمد، " العلاقات السعودية الروسية من التنافس إلى التعاون"**، صحيفة الشرق الأوسط**، 4 سبتمبر، 2003، العدد 9046، من الموقـع الالكترونـي: http://www.aawsat.com/leader.asection=&issueno=&article

الطائي، عبدالرزاق، (2009) **الخليج العربي في الإستراتيجية الروسية المعاصرة**،

طالب، محمـد سـعيد، **(**1994)، **النظـام العـالمي الجديـد والقـضايا العربيـة الراهنة**،الطبعة الأولى، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص162.

طه، شريف، (2008م**)،** الدب الروسي يعبث في الحديقة الخلفية للفيل الأمريكـي، **صحيفة الأهرام**، العدد (44484)، 21-9-2008م.

الطويسي، باسم، طريق الحرير الجديد بـين موسـكو والريـاض، 27/ 4/ 2006، **صحيفة الغد**، متوفر عبر: http://www.alghad.com/?article=3712

عبد البديع، أحمد عباس، (1992). **القوى السياسية الفاعلة في النظـام العـالمي**، السياسة الدولية، العدد99، ص32.

عبد الرزاق، فتحي، (2000). الدور الروسي في الشرق الأوسط، **جريدة الحريـة التونسية** في 28 نوفمبر.

عبد العاطي، محمد، (2009**)، العلاقات الأميركية السعودية بعد زلزال سبتمبر... ، 7/8/ 2009**، متوفر عبر: www.alhayat.net

عبد العليم، طه، (2001). **العرب وروسيا**، في كتاب العرب والعالم، تحرير وليـد عبد الحي، عمان: دار الفارس للنشر والتوزيع.

العتوم، محمد (1992)، **سياسة الاتحاد السوفيتي اتجاه عملية السلام في الـشرق الأوسط**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

العزي، غسان، (2000). **سياسة القوة: مستقبل النظام الدولي والقوى العظمـى**، بيروت: مركز الدراسات والإستراتيجية .

العسلي، بسام، (2008)، الحرب العالمية الثالثة واحتمالاتها، **مجلة كلية الملك خالد العسكرية**، العدد (92)، مارس، ص 34.

العكيدي، (2009)، **العلاقات السعودية الروسية بعد أحداث 11 أيلـول، 2001**، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العراق.

علاو، أحمد، (2007). السياسة الخارجية الروسية في علاقاتها الدولية، **مجلة الدفاع المدني اللبناني**، بيروت، العدد 262، ابريل، 2007.

علي، المليجـي علـي، (2008)، **محلـل اسـتراتيجي عربـي مـن الـسعودية** 2008/12/01

عوض، محمود، **تحول الموازين الدولية بعد أزمة جورجيا**، www.alhayat.net.

فندي، مـأمون، (2010**)، هـل تغيـرت الـسياسية الـسعودية تجـاه روسـيا، 2010/1/18**، متوفر عبر: http://forum.sh3bwah.maktoob.com/t239198.html

كاراتنسكي، أدريان، (2007). **روسيا وتكريس الهيمنة علـى إمـدادات الطاقـة الأوروبية**، 9 يوليو.

كينـث تومبـسون وروي مكريـدس، (1966)، **نظريـات الـسياسة الخارجيـة ومعضلاتها**، ترجمة حسن صعب، بيروت، دار الكتاب العربي.

مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية،(2006). **المصالح الدولية فـي منطقة الخليج،**

مركز الأهرام **للدراسات السياسية والإستراتيجية**، مؤسسة الأهرام.

مصطفى، جيهان، **(**2007م **)، روسيا وأمريكا إلى حرب جديدة، شـبكة الأخبـار العربية،** محيط 28-4-2007م.

معمر، عطوي، (2000). **طموح روسيا إلى عالم متعدد الأقطاب،** رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، مصر.

المليجي، محمد(1993) **روسيا واسيا الوسطى والعرب،** القاهرة، مركـز البحـوث والدراسات السياسية، 26-28 ابريل، ص98.

مقلد، إسماعيل صبري، (1982). **نظرية الـسياسة الدوليـة،** الكويـت: المكتبـة الأكاديمية.

مقلد، إسماعيل صبري، (1979)، **الإستراتجية والسياسة الدولية،** بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية.

الناصر، عبد الواحد، (1991)، **العلاقات الدولية(العناصر الأساسية فـي النظـام الدولي ومدى تطوره بعد حرب الخليج)،**الرباط، ص81.

النجار، مصطفى، (2003)، **أطماع روسيا القيصرية والاتحاد السوفيتي في الخليج العربي والجزيرة العربية منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى أواخر القـرن العشرين،** دار زهران، عمان، الأردن.

ندوة روسيا واسيا الوسطى والعرب، (1993). القاهرة: **مركز البحوث والدراسات السياسية،** 26-28 إبريل.

نصار، سليم،(2009)**،** " ملف العلاقات السعودية **- الروسية من عهد ستالين إلى عهد بوتين"، 2009/4/2،** متوفر عبـر: http://www.moheet.com/show_ files.aspx?fid=58104&pg=20

نصار، سليم، **متى تتحول الحرب الباردة إلى حرب ساخنة؟**: www.alhayat.net.

نعمة، أديب، (1991). العالم الثالث: الثورة والاشتراكية، **مجلة الفكر العربي**، العدد 1105.

نعمة، كاظم هاشم، (1972)، **العلاقات الدولية**، الموصـل، دار الكتـب للطباعـة والنشر في جامعة الموصل.

نيكولاي زولوبين، "**روسيا ومنطقة الخليج الوضع الراهن وخيـارات المـستقبل**"، ورقة مقدمة إلى ندوة، المصالحة الدولية في منطقة الخليج (أبو ظبي، 2004) متوفر عبر: http://www.alriyadh.com

يس، السيد، (2008م)، نهاية عصر الهيمنة الأمريكية المطلقة، **صـحيفة الحيـاة**، 31-8-2008م.

يوري زينين(2000م)، **(ملف روسيا: الاستعراب في روسيا، ازدهـار الماضـي، أزمة الحاضر)** مجلة «المعرفة» العدد 62، جمادى الآخرة 1421هـ، سبتمبر.

يوري زينين،(2008)، " **نظرة من موسكو: ذكرى هامة في حياة المملكة العربية الـسعودية"،** 2008/4/12، متـوفر عبـر: http://www.ru4arab.ru/cp/eng.php?id=2005

ب- المراجع الأجنبية:

George, Quester, **"The Continuing Problems of International Politics"** The Dragon Press, U.S.A. 1982.

Joseph, Frankel **"Contemporary International Theory and the Behaviour of States**", Oxford University, Press, 1973.

Joseph. Frankel **"International Politics: Conflict and Harmony**" Penguin books, England, 1973.

Joyantany ja, Bandyopadyay, **"General Theory of International Relations"**, Allied pub limited, New Delhi, 1993, p.39.

Kaplan, Morton, **New Approaches to international relations**, New York, St Martin's press, 1968.

Meyriat, J, Duroselle, J. ,et. **"La Communite Internationale Face aux Jeunes Etats**" Armand Colin, Paris, 1964.

Padelford, Norman and Lincolin, George **"The Dynamics of International Politics**" The Macmillan Com**pany**, London, 1967.

Reynolds P.A. **"An Introduction to International Relations"** Winthrop Pub. Inc, Massachusette, 1977.

Robert L. **Wendzel, International Relations**, A policy Maker, Focus, 2ed, John Willacy, Inc. New York, 1980, pp. 85-127.

Steven, Roson, **"The Logic of International Relatiions"** Winthrrop pub.Inc, Massachusette, 1977.